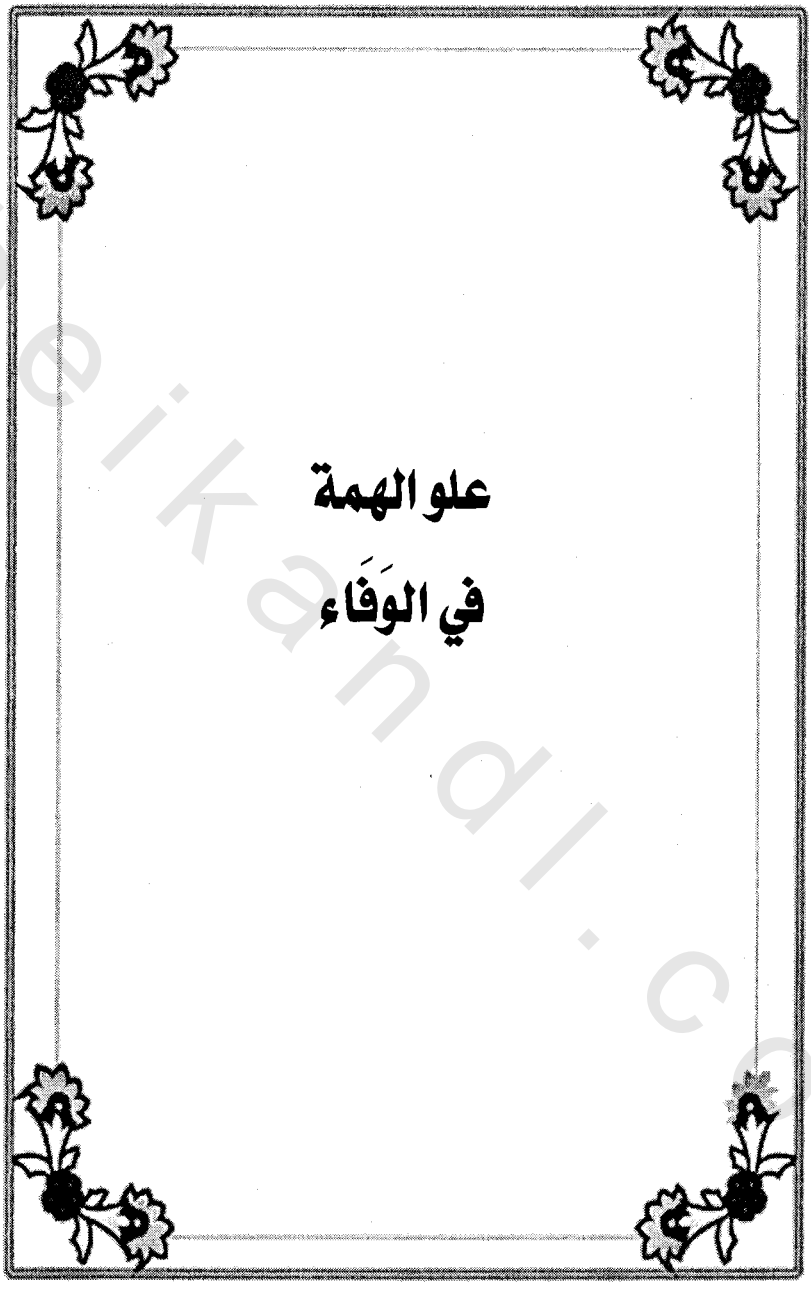

علو الهمة
في الوَفَاء

obeikandl.com

obeikandl.com

علو الهمة في الوَفَاء

✍ الوفاء قيمة إنسانيّة نفيسة عظيمة، وهو درة في عقد جيد مكارم الأخلاق، يُغلي قيمة من جعله نُصب عيْنيه، ويستنطق الأفواه لفاعله بالثناء عليه، ويستطلق الأيدي المقبوضة عنه بالإحسان إليه.

□ قال الراغب الأصفهاني: «الوفاء: أخو الصِّدق والعَدْلِ، والغَدْرُ: أخو الكذب والجور، ذلك أنَّ الوفاءَ: صِدْقُ اللسانِ والفِعْلِ معًا، والغدْرُ كَذِب بهمَا؛ لأن فيه مع الكَذِب نقضًا للعهد.

والوفاءُ: يختصُّ بالإنسان، فمن فُقِدَ فيه «الوفاءُ» فقد انسلخ من الإنسانيَّة، وقدْ جعل الله تعالى العهد من الإيمَان وصيَّرهُ قوامًا لأمُورِ النَّاسِ، فالنَّاسُ مضطرُّون إلى التَّعاوُنِ، ولا يتمُّ تعاونهم إلَّا بمُرَاعاة العهد والوفاءِ به، ولولا ذلك لتنافرتِ القلوبُ وارتفع التَّعايشُ. ولذلك عظَّمَ الله تعالى أمرهُ فقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة].

وقيل في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ [المدثر]، أي نزِّهْ نفسك عن الغدْرِ، وقد عظِّم حالُ السموأل فيمَا التزمَ به من الوفاءِ بدُرُوعِ امرئ القيس، ممَّا يدلُّ على أنَّ الوفاءَ قيمةٌ عظيمةٌ قدَّرها عربُ الجاهليَّةُ، وقد أقرَّهم الإسلامُ على ذلك، ولا يستطيع ذلك إلَّا القليلون، ولقلَّة وجود ذلك في الناسِ قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٣]، وقد ضُربَ به المثل في العزَّة، فقالت العربُ: «هو أعَزُّ من الوفاءِ»[1].

---

(١) «الذَّريعة إلى مكارم الشريعة» للراغب الأصفهاني (٢٩٢- ٢٩٣).

□ ولله دره وهو يقول في «مقاييس اللغة» أن مادة «و ف ي» تدل على «إكمَالٍ وتمَام».

سـقى الله أطـلال الوفـاءِ بكفِّـه فَقَـدْ دَرَسَـتْ أعلامُـهُ ومنازِلُـهْ

وإذا ذهب الوفاء نزل البلاء، وإذا ظهرت الخيانة اسْتَخْفت البركات والوفاء أُنْسُكَ مِمَّن نَكَث، والسَّلْوَة عِوضُكِ مِمَّن غَدَر. والوفاء عَقْد الإخاء.

□ قال الأحنف: «الملولُ ليسَ له وفاء، والكذّاب ليس له حياء».

□ «الوفاء هو القوام لمكارم الأخلاق، به تستقيم الحياة، وهو ميزان المروءة، ومقياسُ الفضل في الأفراد والأمم، ولو دانَ به الناس لوجدوا السعادة كاملة. يُحدِثُ الوفاء في نفس الوفِيّ من الغبطة ما لا حدَّ له، وفي نفس المُوَفَّى له الرغبة في البرِّ والمروءة واصطناع المعروف عند الناس»[١].

□ قال الجرجانيُّ: «الوفاءُ: هو ملازمةُ طريقِ المواساةِ، ومحافظةُ عهودِ الخُلطاءِ»[٢].

□ وقال الجاحظُ: «الوفاءُ هو الصَّبر على ما يبذُله الإنسانُ من نفسه ويرهنُهُ به لسانُهُ[٣]. والخروجُ ممَّا يضمنُهُ – بمقتضى العهد الذي قطعه على

---

(١) «الوفاء في رحاب القرآن والحديث والأدب» (ص٦٠- ٦١) لأيمن عبد الرزاق الشوّا- طبع دار الكلم الطيب- بيروت.

(٢) «التعريفات» للجُرْجاني (ص٢٧٤).

(٣) معنىٰ هذه العبارة أن الإنسان يُصبِح رهينة بما ينطق به لسانه، ولا يكونُ وفِيًّا إلا إذا حرّر نفسه بالوفاء بما التزم به، وهذا هو مضمون العبارة في قوله: «والخروج مما ضمنه» أي: خروج الإنسان من العهد الذي قطعه علىٰ نفسه، وألزمه به =

نفسه- وإنْ كان مجْحفًا به، فليس يعدُّ وفيًّا منْ لم تلحقه بوفائه أذيَّةٌ وإن قلَّتْ، وكلمَا أضرَّ به الدُّخول تحت ما حكم به على نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاء»[١].

□ وقال الرَّاغبُ: «الوفاءُ بالعهدِ: إتمامه وعدم نقْضِ حفظه»[٢].

□ وقال أيضًا: «الوفاءُ صدقُ اللِّسان والفعل معًا»[٣].

أنواع الوفاء:

للوفاءِ أنواعٌ عديدةٌ باعتبار المُوفَّى به، فهي قد تكون وفاءً بالعهدِ، وقد تكون وفاءً بالعقد أو المِيثاقِ، وقد تكون وفاءً بالوعْد، وتوضيح ذلك فيمَا يلي:

الوفاءُ بالعهدِ: هو -كمَا ذكر الرَّاغبُ- إتمَامهُ وعدم نقضِ حفظه، ويتطابقُ من ثَمَّ صدق القول والعمل جميعًا [٤]، وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما «العهود ما أحلَّ الله وما حرَّم وما فرض وما حدَّ في القرآنِ كلِّه»[٥].

أمَّا الوفاءُ بالعقْدِ: فالمُراد به إما العهد، وبذلك يتطابق مع النَّوع الأول، وقيل: العقود هي أوكد العهودِ، وقيل: هي عهودُ الإيمَانِ والقرآن، وقيل: هي ما يتعاقدُه النَّاسُ فيمَا بينهم [٦].

لسانه مما ضَمِنه للغير.

(١) «تهذيب الأخلاق» (ص٢٤).

(٢) «المفردات» للراغب (ص٥٢٨).

(٣) «الذريعة» للأصفهاني.

(٤) «المفردات» (٥٢٨)، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة» (٢٩٢).

(٥) «عمدة التفسير» للشيخ أحمد شاكر (٤/ ٦٢).

(٦) «تفسير» البغوي (٢/ ٦).

أما الوفاءُ بالوعدِ: فالمرادُ به أن يصبر الإنسانُ على أداء ما يَعِدُ به الغير ويبذله من تلقَاءِ نفسه، ويرهنُه به لسانه حتى وإنْ أضرَّ به ذلك، وقد ذكرنا من قبل قول الجاحظ: وكلَّمَا أضرَّ به الدُّخول تحت ما حكم به على نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاءِ [(١)].

الوفاء في القرآن الكريم:

الأمر بالوفاء بالعهد:

* قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) انظر: «نضرة النعيم».

* وقال تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ

ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الإسراء].

الوفاء صفة الله عَزَّ وَجَلَّ:

* وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة].

الوفاء شعبة من شعب الإيمان:

* قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ

وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد].

* وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ

وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأحزاب].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المعارج].

* وقال تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الإنسان].

الوفاء صفة بارزة للأنبياء عليه الصلاة والسلام:

* قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم].

□ قال الزجَّاج: «وَفَّى أبلغُ مِن وَفَى؛ لأن الذي امتُحِن به إبراهيم الخليل من أعظم المِحَن»(١).

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما قام بدين الله كله إلَّا خليل الرحمن إبراهيم».

□ وللمفسرين في هذه الآية أقوال:

أحدها: أنه وفَّى عمل يومه بأربع ركعات في أوَّل النهار.

---

(١) «الوفاء» لأيمن الشوّا (ص١٣).

والثاني: أنه وَفَّى في كلمَات كان يقولها.

والثالث: أنه وَفَّى الطاعة فيمَا فعل بابنه.

والرابع: أنه وفّى ربَّه جميع شرائع الإسلام.

والخامس: أنه وفَّى ما أُمِر به من تبليغ الرِّسالة.

والسادس: أنه عَمِل بمَا أُمِر به.

والسابع: أنه وفَّى بتبليغ هذه الآيات، وهي ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [النجم] وما بعدها.

والثامن: وفَّى شأن المناسك.

والتاسع: أنه عاهد ألَّا يسال مخلوقًا شيئًا، فلمَا قُذِف في النار قال له جبريل: ألك حاجة؟ فقال: أمَّا إليك فلا. فوفَّى بمَا عاهد.

والعاشر: أنه أدَّى الأمانة. ولا شك أن حذف المفعول يُطلع على إعجاز بليغ للقرآن الكريم[1].

وفاء إسماعيل عليه السلام:

* قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم].

* وفَّى عليه السلام لأبيه عليه السلام بما وعده عليه من الصبر -بعد عون الله إياه- فكان صبره وتسليمه أجمل صبر وأتم تسليم: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن

---

(١) المصدر السابق (ص١٣٢، ١٣٣).

يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات].

وفاء الرسل والأنبياء عليهم السلام لربهم ولدينهم أعظم الوفاء:

* بأبي هم وأمي، عليهم صلوات ربي وتسليمه، حمَّلهم الله أمانة الوحي وتكاليف النبوّة والرسالة، فقاموا أعظم قيام، ووفَّوا لربهم أعظم الوفاء، وحملوا هذه الأمانة في أعينهم، ووفوها إلى الناس أعظم توفيه. قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة].

وفاء سيد البشر صلى الله عليه وسلم أعظم الوفاء:

وسنتكلَّم عليه بعد قليل.

الأجر العظيم للموفين بعهدهم:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح].

فكانت بيعتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم أعظم بيعة في أشد المواقف خطرًا، ووفوا لله ولرسوله ودينهم أعظم الوفاء، فكان جزاؤهم أعظم الجزاء أنه لا يدخل أحدٌ منهم النار.

• قال ﷺ: «لا يدخل النار أحدٌ ممنَّ بايع تحت الشجرة»[١].

الوفاء بالعقود:

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة].

□ واختلفوا في المراد بالعقود ها هنا على خمسة أقوال:

أحدهما: أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيمَا أحلّ وحرَّم، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أنها عهود الدِّين كلُّها، قاله الحسن.

والثالث: أنها عهود الجاهلية، وهي الحِلف الذي كان بينهم، قاله قتادة.

والرابع: أنها العهود التي أخذها الله على أهل الكتاب من الإيمَان بالنبي محمد ﷺ. قاله ابن جريج.

والخامس: أنها عقود الناس بينهم من بيع، ونكاح، أو عقد الإنسان على نفسه من نذر، أو يمين، وهذا قول ابن زيد.

ولعلَّ أقوى هذه الأقوال قول ابن عباس: إن المراد بها: عقود الله

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي عن جابر، ورواه مسلم عن أم مبشر.

التي أوجبها على العباد في الحلال، والحرام، والفرائض، والحدود، ويدخل في ذلك جميع الأقوال الأُخر، فيجب الوفاء بجميع ذلك؛ إلَّا ما كان عقدًا في المعاونة على أمرٍ قبيح، فإنَّ ذلك محظورٌ بلا خلاف.

* قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨)﴾ [الأحزاب].

ومن الوفاء: إيفاء الكيْل والميزان:

* قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

أي: أتمُّوه ولا تنقصوا منه.

* وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥)﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [هود: ٨٥].

* وقال تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

* وقال تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١)﴾ [الشعراء].

* لقد عذّب الله أمة لم تُوفِ مكيال الدنيا، فكيف بمن نكث عهده مع الله، ولم يوف لله بأي عهد، وطفّف في مكيال الدين ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ﴾ [هود: ٩٥] توفِّي مكيال شهواتك، وتبخس حق آخرتك، وتسرق من صلاتك.

• قال ﷺ: «**أسرقُ الناس الذي يسرق صلاتَه: لا يتمُّ ركوعَها ولا سجودَها، وأبخلُ الناس من بخل بالسلام**»(١).

• يا من لم يوف لله بأي عهد، أما تخشى أن يقول لك في بعض غَدَراتك: «اذهب فلا غفرتُ لك»؟!.

• قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ خيارَ عباد الله المَوفُّون المُطَيَّبون**»(٢).

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ حُسْنَ العَهْدِ من الإيمَـان**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» و«الصغير» عن عبد الله بن مغفل، وصححه المنذري، والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٢٦)، و«صحيح الجامع» (٩٦٦).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي حميد السَّاعِدِيِّ، وأحمد، وأبو الشيخ، والعقيلي عن عائشة، والطبراني في «الأوسط» وأبو محمد المخلدي عن أبي حميد البزار، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٦٢).

(٣) حسن: رواه الحاكم، وحسنّه الألباني في «الصحيحة» (٢١٦)، و«صحيح الجامع» (٢٠٥٦).

أحاديث عَطِرة في «الوفاء»[١]:

• عن عقبة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**أحقُّ ما أوْفيتم من الشُّروطِ أنْ تُوفُوا به ما استحللتم به الفُروجَ**»[٢].

• عن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اضْمنوا لي ستًّا منْ أنفسكم أضمنْ لكم الجنَّة: اصدقُوا إذا حدَّثتم، وأوْفُوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتُمنتم، واحفظوا فروجَكُمْ، وغضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكم**»[٣].

• عن وهبِ بن كيسان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّه أخبره: أنَّ أباهُ توفِّي وترك عليه ثلاثين وسقًا [٤] لرجل من اليهود، فاستنظَره [٥] جابرٌ، فأبى أن ينظرَهُ، فكلَّم جابرٌ رسول الله ﷺ ليشفعَ له إليه، فجاء رسولُ الله ﷺ فكلَّمَ اليهوديَّ ليأخذ تمر نخله بالتي له، فأبى، فدخل رسول الله ﷺ النَّخْل فمشى فيها، ثمَّ قال لجابرٍ: جُدَّ له [٦] فأوْفِ له الذي له، فجدَّهُ بعد

---

(١) انظر «نضرة النعيم» (٣٦٤٦- ٣٦٥٧).

(٢) البخاري «الفتح» (٩/ ٥١٥١) واللفظ له، ومسلم (١٤١٨) أي أحق الشروط بالوفاء شروط النكاح.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٢٣) والطبراني حكاه الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢١٨) واللفظ عندهما متفق. ورجال أحمد ثقات إلا أن المطلب لم يسمع من عبادة. والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٩) وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال: فيه إرسال.

(٤) الوَسْق: بفتح الواو وكسرها – مِكْيَلة معلومة، وقيل: حِمْل بعير وهو ستون صاعًا بصَاع النبي ﷺ وهو خمسة أرطال وثلث، والجمع أوْسُق ووُسُوق.

(٥) استنظره: أي طلب إعطاءه مهلة للسداد.

(٦) جُدَّ له: أي اقطع له.

ما رجع رسولُ الله ﷺ، فأَوْفَاهُ ثلاثين وسْقًا، وفضلت له سبعة عشر وسْقًا، فجاءَ جابرٌ رسول الله ﷺ ليُخْبِرَهُ بالذي كان، فوجده يُصَلِّي العصر، فلمَّا انصرف أخبره بالفضْل [١]، فقال: أخبر ذلك ابن الخطَّاب، فذهب جابرٌ إلى عمر فأخبره، فقال له عمرُ: لقد عَلِمْتُ حين مشى فيها رسولُ الله ﷺ ليُبارَكنَّ فيها»[٢].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُؤتَى بالرَّجُلِ المتوفَّى عليه الدَّينُ، فيسألُ: «**هل ترك لدينه فضلًا؟**» فإنْ حُدِّث أنَّه ترك لدينه وفاء صلَّى، وإلَّا قال للمسلمين: «**صلُّوا على صاحِبِكُمْ**». فلمَّا فتحَ الله عليه الفُتوحَ قال: «**أنا أَوْلَى بالمؤمنينَ من أنفسهم، فمن تُوفِّي من المؤمنين فترك دَيْنًا فعليَّ قضاؤُهُ، ومن ترك مالًا فلورَثَتِهِ**»[٣].

• قال ابن عباس رضي الله عنهما فأخبرني أبو سفيان بن حربٍ أنَّه كان بالشَّامِ في رجالٍ من قريشٍ قدموا تجارًا [٤] في المُدَّةِ التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كُفَّارِ قريشٍ.. الحديث. وفيه: قال – يعني قيصر – فمَاذا يأمُرُكمْ به؟ قال [٥]: يأمُرُنَا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عمَّا كان يعبد آباؤُنا، ويأمرنا بالصلاة والصَّدَقةِ، والعَفافِ، والوفاءِ بالعهدِ، وأداء الأمانةِ. فقال لترجمانه حين قلت ذلك له: قل له إنِّي سألتُكَ عن نسبه

---

(١) أخبره بالفضل: أي بالزيادة.

(٢) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٣٩٦).

(٣) البخاري «الفتح» (٤/ ٢٢٩٨).

(٤) تِجارًا: رجل تاجر والجمع تِجَار –بالكسر والتخفيف- وتُجَّار- بالضم والتشديد- وتَجْر.

(٥) قال: يأمرنا أن نعبد الله. القائل هو أبو سفيان.

فيكم، فزعمتَ أنَّه ذو نسبٍ، وكذا الرُّسُل تُبْعَثُ في نسب قومها. وسألتُك هل قال أحدٌ منكم هذا القول قبلهُ؟ فزعمْتَ أنْ لا، فقلت: لو كان أحدٌ منكم قال هذا القول قبله، قلتُ: رجلٌ يأتَمُّ بقولٍ قد قيل قبله. وسألتُكَ: هل كنتم تتَّهمُونَه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفتُ أنَّه لم يكنْ ليدع الكذب على النَّاسِ ويكذبَ على الله. وسألتُكَ هل كان منْ آبائه من ملكٍ، فزعمْتَ، أنْ لا، فقلتُ: لو كان من آبائه ملكٌ قلتُ يطلبُ ملك آبائه، وسألتك: أشراف النَّاس يتَّبِعونَه أم ضُعفاؤُهم؟ فزعمت أن ضُعفاءهم اتَّبعوه، وهم أتْبَاعُ الرُّسُل، وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتمَّ، وسألتك هل يرتدُّ أحدٌ سخطةً لدينه بعد أنْ يدخُلَ فيه؟ فزعمت أنْ لا، فكذلك الإيمَان حين تخْالِطُ بشاشتُه القلوب لا يسخطه أحدٌ. وسألتُكَ: هل يغْدِرُ؟ فزعمت أنْ لا، وكذلك الرُّسلُ لا يغْدِرُون. وسألتك: هل قاتلتموه وقاتلكم؟ فزعمْتَ أنْ قد فعل، وأنَّ حربكُمْ وحربةُ تكون دُولًا، يُدالُ عليكم المرَّةَ وتُدَالُون عليه الأخرى، وكذلك الرُّسل تُبْتلى وتكون لها العاقبةُ. وسألتكَ بمَاذا يأمُركم؟ فزعمْت أنَّه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشْرِكوا به شيئًا، وينهاكم عمَّا كان يعبد آباؤُكم، ويأمركم بالصلاة، والصَّدقةِ، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداءِ الأمانة. قال: وهذه صفةُ نبيٍّ قد كنت أعلم أنَّه خارجٌ، ولكن لم أعلم أنَّه منكم، وإنْ يكُ ما قلت حقًّا فيُوشِكُ أن يملك موضع قدميَّ هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشَّمْتُ لقاءَهُ، ولو كنت عنده لغسلت قدميهِ.. الحديث [1].

---

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٢٩٤١) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣).

• عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ امرأةً من جُهينة جاءتْ إلى النبيِّ ﷺ فقالتْ: إنَّ أمِّي نذرتْ أن تَحُجَّ فلم تحجَّ حتَّى ماتت، فأَحُجُّ عنها؟ قال: «**نعم، حُجِّي عنها، أرأيت لو كان على أُمِّكِ دينٌ أكنتِ قاضيتَهُ؟ اقْضُوا الله، فالله أحقُّ بالوفاءِ**»(١).

• عن عليِّ بن الحسين: أنَّهم حين قدمُوا المدينةَ، من عند يزيد بن معاوية، مَقْتَلَ الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهما لقيهُ المسور بن مخرمةَ، فقال له: هل لك إليَّ من حاجةٍ تأمرني بها؟. قال: فقلت له: لا. قال له: هل أنت معْطِيَّ سيف رسولِ الله ﷺ؟ فإنِّي أخافُ أن يغْلِبَك القوم عليه. وايمُ الله؛ لئن أعطيتنيه لا يخلصُ إليه أبدًا، حتَّى تَبْلُغَ نفسي. إنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ خطب بنت أبي جهْلٍ على فاطمةَ. فسمعتُ رسول الله ﷺ وهو يخطبُ النَّاسَ في ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذٍ مُحْتلمٌ، فقال: «**إنَّ فاطمةَ مِنِّي، وإنِّي أتخوَّفُ أن تُفتن في دينها**(٢)». قال: ثمَّ ذكر صِهْرًا(٣) له من بني عبد شمسٍ. فأثنى عليه في مُصاهريه إيَّاهُ فأحسن. قال: «**حدَّثَني فصدقني. ووعدني فأوْفَى لي. وإنِّي لستُ أحرِّمُ حلالًا**(٤) **ولا أُحِلُّ حرامًا. ولكن، والله لا تجتمعُ بنتُ**

---

(١) البخاري «الفتح» (٤/ ١٨٥٢)، واللفظ له، ومسلم (١٣٣٤) نحوه.

(٢) أن تفتن في دينها: أي بسبب الغيرة الناشئة من البشرية.

(٣) ثم ذكر صهرا: هو أبو العاص بن الربيع. زوج زينب رضي الله عنها، بنت رسول الله ﷺ والصهر يطلق على الزوج وأقاربه وأقارب المرأة، وهو مشتق من صهرت الشيء وأصهرته، إذا قربته. والمصاهرة مقاربة بين الأجانب والمتباعدين.

(٤) لست أحرم حلالاً: أي لا أقول شيئًا يخالف حكم الله. فإذا أحل شيئًا لم أحرمه. وإذا حرمه لم أحله، ولم أسكت عن تحريمه، لأن سكوتي تحليل له، ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت نبي الله وبنت عدو الله.

رسولِ الله ﷺ وبنْتُ عدوِّ الله مكانًا واحدًا أبدًا»[١].

• عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال في خُطْبته: «أَوْفُوا بحلْفِ الجاهليَّةِ، فإنَّ الإسلام لم يزِدْهُ إلَّا شدَّةً، ولا تحدثوا حِلْفًا في الإسلام»[٢].

• عن عبادة بن الصَّامتِ رضي الله عنه وكان شهد بدرًا، وهو أحدُ النُّقَباءِ ليلة العقبة؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال وحوله عصابةٌ من أصحابه: «بايعوني على أنْ لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنُوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتُوا بُهْتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجُلِكم، ولا تعْصُوا في معروفٍ. فمن وفَّى منكم فأجْره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعُوقِبَ في الدنيا فهو كفَّارةٌ له،ومن أصاب من ذلك شيئًا ثمَّ سترهُ الله فهو إلى الله: إنْ شاء عفا عنهُ، وإن شاء عاقبهُ». فبايعناهُ على ذلك[٣].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم الله يوم القيامة ولا يزكِّيهم ولهم عذابٌ أليمٌ: رجلٌ على فضلِ ماءٍ بالطريق يمنع منه ابن السبيل. ورجلٌ بايع إمامًا لا يبايعه إلَّا لدنْيَاهُ، إن أعطاهُ ما يريد وفَّى له، وإلَّا لم يفِ له. ورجلٌ بايع رجلًا سلْعَةٍ بعد العصر، فحلف بالله لقد أُعطي بها كذا وكذا، فصدَّقَهُ فأخذها، ولم يُعطَ بها»[٤].

• عن أبي حازم قال: قاعدْتُ أبا هريرة خمس سنين. فسمعته يُحدِّثُ

---

(١) البخاري «الفتح» (٧/ ٣٧٢٩)، ومسلم (٢٤٤٩) واللفظ له.

(٢) أحمد (٢/ ٢٠٧) واللفظ له. والترمذي (١٥٨٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال محقق «جامع الأصول» (٦/ ٥٦٦): كما قال الترمذي.

(٣) البخاري «الفتح» (١/ ١٨) واللفظ له، ومسلم (٧٠٩).

(٤) البخاري «الفتح» (١٣/ ٧٢١٢) واللفظ له، ومسلم (١٠٨).

عن النبيِّ ﷺ قال: «**كانتْ بنو إسرائيل تسُوسهم الأنبياءُ** (١). **كلَّما هلك نبيٌّ خَلَفهُ نبيٌّ** (٢). **وأنَّه لا نبيَّ بعدِي. وستكون خُلفَاءُ فيكثرون**». قالوا: فمَا تأمرُنا؟ قال: «**فُوْا ببيعة الأوَّلِ فالأوَّل** (٣). **وأعطوهم حقَّهُمْ. فإنَّ الله سائِلُهم عمَّا استرعاهم**»(٤).

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه قال: يا رسول الله، إنِّي نذرتُ في الجاهليَّة أنْ أعتكفَ ليلةً في المسجد الحرام، فقال له النبيُّ ﷺ: «**أوفِ نذْرَك**». فاعتكف ليلةً (٥).

• عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ، فيمَا روى عن الله – تبارك وتعالى – أنَّه قال: «**يا عبادي، إنِّي حرَّمْتُ الظلم على نفسي**(٦) **وجعلته بينكم محرَّمًا**.

---

(١) تسوسهم الأنبياء: أي يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية. والسياسة القيام علىٰ الشيء بما يصلحه.

(٢) كلما هلك نبي خلفه نبي: في هذا الحديث جواز قول: هلك فلان، إذا مات. وقد كثرت الأحاديث به وجاء في القرآن العزيز قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾.

(٣) فوا ببيعة الأول فالأول: معنىٰ هذا الحديث إذا بويع لخليفة بعد خليفة، فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها. وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها ويحرم عليه طلبها. وسواء عقدوا للثاني عالمين بعقد الأول أم جاهلين. وسواء كانا في بلدين أو بلد. أو أحدهما في بلد الإمام المنفصل والآخر في غيره.

(٤) **البخاري «الفتح»** (٦/ ٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) واللفظ له.

(٥) **البخاري «الفتح»** (٤/ ٢٠٤٢) واللفظ له،ومسلم (١٦٥٦).

(٦) **إني حرمت الظلم علىٰ نفسي**: قال العلماء: معناه تقدست عنه وتعاليت. وأصل **التحريم في اللغة** المنع. فسمىٰ تقدسه عن الظلم تحريمًا، لمشابهته للممنوع في **أصل عدم الشيء**.

فلا تظَّالَمُوا[١]. يا عبادي، كلُّكُمْ ضَالٌّ[٢] إلَّا من هديتُهُ. فاستهْدُوني أهدِكُمْ يا عبادي، كلُّكمْ جائعٌ إلَّا من أطْعَمْتُهُ. فاستطعمُوني أطْعِمْكُمْ. يا عبادي، كلُّكم عَارٍ إلَّا من كسوْتُهُ. فاستكْسُوني أكْسُكُمْ. يا عبادي، إنَّكُمْ تخْطِئونَ[٣] بالليل والنَّهارِ، وأنا أغفرُ الذُّنوبَ جميعًا. فاستغفروني أغفرْ لكم. يا عبادي، إنَّكُمْ لن تبلغوا ضَرِّي فتضُرُّوني. ولنْ تبْلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبدي، لو أنَّ أوَّلَكُمْ وآخرَكُمْ وإنْسَكم وجِنَّكُمْ كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكمْ. ما زادَ ذلك في مُلْكِي شيئًا. يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخركُمْ. وإنْسكم وجِنَّكم. كانوا على أَفْجَرِ قلب رجلٍ واحدٍ منكم. ما نقص ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخركُمْ. وإنْسكم وجنَّكم. قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني. فأعطيْتُ كلَّ إنسانٍ مسألتَهُ ما نقص ذلك ممَّا عندي إلَّا كمَا ينقص المخْيَطُ[٤] إذا أُدْخل البحر. يا عبادي، إنَّما هي

---

(١) فلا تظالموا: أي لا تتظالموا. والمراد لا يظلم بعضكم بعضًا.

(٢) كلكم ضال إلا من هديته: ظاهر هذا أنهم خلقوا على الضلال، إلا من هداه الله تعالى. وفي الحديث المشهور: «كل مولود يولد على الفطرة». فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ. وأنهم لو تُرِكوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة وإهمال النظر لضلوا. وهذا الثاني أظهر.

(٣) إنكم تخطئون: الرواية المشهورة: تخطؤون بضم التاء. وروى بفتحها وفتح الطاء. يقال: خطئ يخطأ إذا فعل ما يأثم به، فهو خاطئ. ومنه قوله تعالى: ﴿اَسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف]. ويقول في الإثم أيضًا: أخطأ. فهما صحيحان.

(٤) إلا كما ينقص المخيط: قال العلماء: هذا تقريب إلى الإفهام. ومعناه لا ينقص شيئًا أصلاً. كما قال في الحديث الآخر: «لا يغيضها نفقة» أي لا ينقصها نفقة؛ لأن ما عند الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني. وعطاء =

أعمالكم أحصيها لكم، ثمَّ أوفِّيكم إيَّاهَا. فمنْ وجد خيرًا فليحْمَدِ الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلُومَنَّ إلَّا نفسه».

• عن سعيد بن المسيِّبِ رضي الله عنه قال: حدَّث عثمَان بن أبي العاص قال: آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ: **«إذا أَمَمْتَ قومًا فأَخِفَّ بهم الصَّلاة»**[(١)].

□ عن أمِّ عطيَّةَ رضي الله عنها قالت: أخذ علينا النَّبيُّ ﷺ عند البيعَةِ أنْ لا ننُوحَ، فمَا وفتْ منَّا امرأةٌ غير خمس نسوةٍ: أمِّ سليمٍ، وأمِّ العلاءِ، وابنةِ أبي سبرةَ امرأةِ معاذٍ، وامرأتينِ، أو ابنة أبي سبْرةَ، وامرأة مُعاذٍ، وامرأةٍ أخرى»[(٢)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ. فذكر أحاديثَ منها: وقال رسول الله ﷺ: **«اشترى رجُلٌ من رَجُلٍ عقارًا**[(٣)] **له. فوجد الرَّجُل الذي اشترى العقارَ في عقاره جَرَّةً**[(٤)] **فيها ذهبٌ. فقال له الذي اشترى العقارَ. خُذْ ذهبك منِّي. إنَّما اشتريْتُ منك الأرض. ولم أَبْتَعْ منك الذَّهَب. فقال الذي شَرَى الأرض**[(٥)]**: إنَّما بعتُك الأرض وما فيها. قال: فتحاكَما إلى**

الله تعالى من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة. والمقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه. فإن البحر من أعظم المرئيات عيانًا وأكبرها والإبرة من أصغر الموجودات مع إنها صقيلة لا يتعلق بها ماء.

(١) مسلم (٤٦٨).

(٢) البخاري «الفتح» (٣/ ١٣٠٦) واللفظ له، ومسلم (٩٣٦).

(٣) **عقارًا**: العقار هو الأرض وما يتصل بها. وحقيقة العقار الأصل. سمي بذلك من **العقر، بضم العين** وفتحها، وهو الأصل. ومنه: عقر الدار، بالضم والفتح.

(٤) **جرة**: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع.

(٥) **شرىٰ الأرض**: هكذا هو في أكثر النُّسَخ. وفي بعضها: اشترىٰ. قال العلماء: **الأوَّل أصح**. وشرىٰ بمعنىٰ باع كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ ﴾. =

رجلٍ. فقال الذي تحاكَما إليه: ألكما ولدٌ؟ فقال أحدهُما: لي غُلامٌ. وقال الآخرُ: لي جاريَةٌ. قال: أنكِحُوا الغلام الجارية. وأنفقُوا على أنفسِكُما منه. وتصدَّقَا»(١).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اللهم، إنِّي أتخذ عندك عهدًا لن تخلفَنِيه. فإنَّما أنا بشرٌ. فأيُّ المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته. فاجعلها له صلاةً وزكاةً وقربةً، تقرِّبه بها إليك يوم القيامة»(٢).

• عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ وهو في قُبَّةٍ: «اللَّهُمَّ إني أنشدك عهدك ووعْدكَ. اللَّهُمَّ إنْ شئتَ لم تعبد بعد اليوم». فأخذ أبو بكرٍ بيده فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربِّكَ. وهو في الدِّرْعِ، فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر]، وقال وهيبٌ: حدَّثنا خالدٌ «يوم بدرٍ»(٣).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه سمعَ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إنَّ ثلاثةً في بني إسرائيل: أبْرَص(٤) وأقرعَ وأعْمَى. فأرادَ الله أنْ يَبْتَلِيَهُمْ فبعث إليهم ملكًا. فأَتى الأبرَص فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عنِّي الذي قد قذِرَني(٥) الناسُ. قال: فمسحهُ فذهب عنه قذره وأُعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل

ولهذا قال: فقال الذي شرىٰ الأرض إنما بعتك.

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١) واللفظ له.

(٢) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٣٦١)، ومسلم (٢٦٠١) واللفظ له.

(٣) البخاري «الفتح» (٦/ ٢٩١٥).

(٤) أبرص: قال في القاموس: البرص بياض يظهر في ظاهر البدن.

(٥) قذرني الناس: أي اشمأزوا من رؤيتي.

– أو قال: البقر. شكَّ إسحاق- إلَّا أنَّ الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل. وقال الآخرُ: البقر قال: فأُعطي ناقةً عشراءَ [١]. فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقْرع فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شَعْرٌ حسنٌ ويذهب عنِّي هذا الذي قذرني الناسُ. قال: فمسحه، فذهب عنه، وأُعْطِيَ شعرًا حسنًا. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر. فأعطي بقرةً حاملًا. فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: أنْ يُردَّ إليَّ بصري فأبْصُرُ به النَّاس. قال: فمسحهُ فرَدَّ الله إليه بصرهُ. قال: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاةً والدةً[٢]. فأنتجَ هذانِ وولَّدَ هذا [٣]. قال: فكان لهذا وادٍ من الإبل. ولهذا وادٍ من البقر. ولهذا وادٍ من الغنم. قال: ثمَّ إنَّهُ أتَى الأبرصَ في صورته وهيئَته [٤]. فقال: رجلٌ مسكينٌ. قد انقطعت بي الحبالُ [٥] في سفري. فلا بلاغَ لي اليوم إلَّا بالله ثمَّ بك. أسألُكَ، بالذي أعطاك اللَّون الحسن والجلد الحسن والمَال، بعيرًا أتبلَّغُ عليه في سفري. فقال: الحقوقُ كثيرةٌ. فقال له: كأنِّي أعرفك. ألم تكن أبرص يقذرُك النَّاسُ؟ فقيرًا فأعطاك اللهُ؟ فقال: إنما ورثْتُ هذا المال كَابِرًا

---

(١) ناقة عشراء: هي الحامل القريبة الولادة.

(٢) شاة والدًا: أي وضعت ولدها، وهو معها.

(٣) فأنتج هذان وولد هذا: هكذا الرواية: فأنتج، رباعي وهي لغة قليلة الاستعمال. والمشهور نتج، ثلاثي. وممن حكىٰ اللغتين الأخفش. ومعناه تولى الولادة، وهي النتج والإنتاج. ومعنىٰ ولد هذا، بتشديد اللام، معنىٰ أنتج، والنتاج للإبل، والمولد للغنم وغيرها، هو كالقابلة للنساء.

(٤) أي جاءه في صورة رجل أبرص – كما كان كذلك قبل أن يمسحه الملك.

(٥) انقطعت بي الحبال: هي الأسباب. وقيل: الطرق.

عن كَابِرٍ [١]. فقال: إن كنتَ كاذبًا، فصيَّرَك الله إلى ما كنت. قال: وأتَى الأقرعَ في صورته فقال له مثل ما قال لهذا. ورَدَّ عليه مثل ما رَدَّ على هذا. فقال: إنْ كنت كاذبًا فصيَّرك اللهُ إلى ما كنت. قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئتِهِ. فقال: رجلٌ مسكينٌ وابنُ سبيلٍ. انقطعتْ بي الحبالُ في سفري. فلا بلاغَ لي اليوم إلَّا بالله ثمَّ بك. أسألُك بالذي رَدَّ عليك بصرك، شاةً أتبلَّغُ بها في سفَرِي. فقال: قَدْ كنتُ أعْمَى فَرَدَّ اللهُ إليَّ بصري. فخُذْ ما شئْتَ. ودَعْ ما شئْتَ. فوالله لا أجهدك اليوم [٢] شيئًا أخذتَهُ لله. فقال: أمسك مالك. فإنَّما ابتُليتُم. فقَد رُضِيَ عنك وسُخِطَ على صاحبيْكَ»[٣].

• عن جابر رضي الله عنه أنَّ رجلًا قدم من جيشان - وجيشان من اليمن- فسألَ النبيَّ ﷺ عن شرابٍ يشرَبُونه بأرضهم من الذُّرة يقال له المزرُ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «أو مسكِرٌ هو؟» قال: نعم. قال رسول الله ﷺ: «كلُّ مسكرٍ حرامٌ. إنَّ على الله عز وجل عَهْدًا، لمن يشربُ المسكر، أنْ يسقيَهُ منْ طينةِ الخبالِ» قالوا: يا رسولَ الله؛ وما طينةُ الخبالِ؟ قال: «عَرَقُ أهلِ النَّارِ، أو عصارةُ أهل النَّارِ»[٤].

• عن ابن مُحيريزٍ؛ أنَّ رجلًا من بني كنانةَ يُدعى المخْدجيَّ سمع رجلًا بالشَّام يُدْعَى أبا محمدٍ يقول: إنَّ الوتر واجبٌ، قال المخدجيُّ:

---

(١) إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر: أي ورثته من آبائي الذين ورثوه من آبائهم، كبيرًا عن كبير، في العز والشرف والثروة.

(٢) أجهدك: معناه لا أشق عليك برد شيء تأخذه.

(٣) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤) واللفظ له.

(٤) مسلم (٢٠٠٢).

فرحْتُ إلى عُبادة بن الصامتِ فأخبرته، فقال عبادةُ: كذب أبو محمدٍ [١]، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**خمسُ صلواتٍ كتبَهُنَّ اللهُ على العبادِ، فمنْ جاء بهنَّ لم يضَيِّعْ منهنَّ شيئًا استخفافًا بحقِّهنَّ، كان له عند الله عهدٌ أنْ يدخلهُ الجنَّةَ، ومن لم يأت بهنَّ فليس له عند الله عهدٌ أنْ يدخلهُ الجنَّةَ، ومن لم يأتِ بهنَّ فليس له عند الله عهدٌ: إنْ شاءَ عذَّبَهُ، وإنْ شاء أدْخله الجنَّةَ**»[٢].

• عن عبد الرحمن بن كعب بن مالكٍ، عن رجلٍ من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ؛ أنَّ كُفَّارَ قريشٍ، كتبُوا إلى ابن أبيٍّ ومنْ كان يعْبُدُ معه الأوْثَان، من الأوسِ، والخزرجِ، ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ بالمدينةِ، قبل وقعةِ بدرٍ: إنَّكُمْ آويتم صاحبنا، وإنَّا نُقْسِمُ بالله لتقاتلُنَّهُ أو لتخْرُجُنَّ أو لنسيرنَّ إليكم حتَّى نقْتُل مقاتلتكُمْ، ونستبيحُ نساءَكُم فلمَّا بلغ ذلك عبد الله بن أُبيٍّ ومن كان معه منْ عبدةِ الأوْثانِ، اجتمعوا لقتال النَّبيِّ ﷺ، فلمَّا بلغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ لقيَهُمْ فقال: «**لقدْ بلغ وعيدُ قريشٍ منكم المبالغَ، ما كانت تكيدُكُمْ بأكثر ممَّا تُريدون أن تكِيدُوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخْوانكم؟**». فلمَّا سمعوا ذلك من النبيِّ ﷺ، تفرَّقُوا، فبلغ ذلك كُفَّارَ قريشٍ، فكتبت كُفَّارُ قريشٍ بعد وقعة بدرٍ إلى اليهودِ: إنَّكُمْ أهل الحلقةِ [٣] والحصونِ، وإنَّكم لتقاتلنَّ صاحبنا، أو لنفعلنَّ كذا وكذا، ولا يحولُ بيننا وبين خدمِ نسائِكُمْ شيءٌ – وهي الخلاخِيلُ- فلمَّا بَلَغَ كتابهمُ النبيَّ ﷺ، أجْمَعَتْ بنو النَّضِير بالغدْرِ، فأرْسلوا إلى رسولِ الله ﷺ: اخرجْ إلينا في

(١) كذب: أخطأ – وهي لُغة بعض العرب-.
(٢) أبو داود (١٤٢٠) واللفظ له وقال الألباني (١٢٥٨): صحيح، والدارمي (١/ ٢٠٨) حديث رقم (١٥٧٧).
(٣) الحلقة: الدُّرع، وقد يُراد بها السلاح مطلقًا.

ثلاثين رجلًا منْ أصحابكَ، ولْيخْرجْ منَّا ثلاثونَ حَبْرًا، حتى نلْتَقِيَ بمكان المنصفِ فيسْمعوا منك، فإنْ صدَّقوكَ وآمنُوا بك، آمنَّا بك، فقُصَّ خبرهم.

فلمَّا كان الغَدُ، غَدَا عليهم رسولُ الله ﷺ بالكتائبِ فحصرهمْ فقال لهم: «**إنكم والله لا تأمَنُونَ عندي إلَّا بعهدٍ تعاهدوني عليه**». فأبوْا أن يُعْطوه عهْدًا، فقاتلهم يومهم ذلك. ثمَّ غَدَا على بني قريظةَ بالكتائبِ، وترك بني النَّضيرِ، ودعاهُمْ إلى أنْ يعاهدوهُ، فعاهدُوه. فانصرفَ عنهم، وغدا على بني النَّضير بالكتائبِ فقاتلهم، حتَّى نزلُوا على الجلاءِ، فجَلَتْ بنُو النَّضِيرِ، واحتملُوا ما أقلَّتِ الإبِلُ منْ أمتعتهم، وأبوابِ بيوتهم وخشبِهَا، فكان نخْلُ بني النَّضير لرسولِ الله ﷺ خاصَّةً، أعطاهُ الله إيَّاهَا، وخصَّهُ بها، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] يقول: بغير قتالٍ، فأعطى النبيُّ ﷺ، أكثرها للمُهاجرين، وقسَّمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار، وكانَا ذَوَيْ حاجةٍ، لم يقسم لأحدٍ من الأنْصارِ غيرهما، وبقِيَ منها صدقةُ رسولِ الله ﷺ، التي في أيْدي بني فاطمةَ رضي الله عنها»[(١)].

• عن كعبٍ رضي الله عنه أنَّه تقاضي ابن أبي حدْردٍ دَينًا كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهُمَا حتَّى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهمَا حتَّى كشف سجْفَ[(٢)] حجرته، فنادَى: «**يا كعبُ**»، قال: لبيَّك يا رسول الله، قال: «**ضع من دينك هذا، وأومأ إليه أي الشَّطْرَ**»،

---

(١) أبو داود (٣٠٠٤) وقال: الألباني (٢٥٩٥): «صحيح الإسناد».

(٢) سِجْفٌ – بفتح السين والكسرها- : السِّتر مَشقوق الوسط كالمصراعَيْن.

قال: لقد فعلتُ يا رسول الله، قال: «قُم فاقْضِهِ»[١].

• عن أبي هريرة ﷺ عنْ رسول الله ﷺ؛ أَنَّهُ ذكر رجلًا من بني إسرائيل سألَ بعض بني إسرائيل أنْ يسلفه ألف دينارٍ فقال: «ائْتني بالشُّهداءِ أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا. قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا. قال: صدقْتَ، فدفعها إليه على أجلٍ مسمًّى. فخرج في البحر فقضى حاجتَهُ، ثمَّ التمس مركبًا يركبُهَا يقدمُ عليه للأجلِ الذي أَجَّلَهُ فلم يجدْ مركبًا، فأخذ خشبةً فنقرها، فأدْخَلَ فيها ألفَ دينارٍ وصحيفةً منه إلى صاحبِهِ، ثمَّ زَجَّجَ موضعَهَا [٢]، ثمَّ أتَى بها إلى البحرِ فقال: اللَّهُم إنَّك تعلم أنِّي كنت تسلَّفْتُ فلانًا ألف دينارٍ فسألني كفيلًا فقُلْتُ: كفى بالله كفيلًا، فرضِيَ بكَ. وسألني شهيدًا فقلتُ: كفى بالله شهيدًا، فرضيَ بذلك. وإنِّي جهدْتُ أنْ أجد مركبًا أبْعثُ إليه الذي له فلم أقْدر، وإنِّي أستودِعُكَها. فرمى بها في البحر حتَّى ولَجَتْ فيه. ثمَّ انْصرفَ وهو في ذلك يلْتَمِسُ مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرَّجُل الذي كان أسلفهُ ينظر لعلَّ مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المَالُ، فأخذها لأهله حطبًا، فلمَّا نشرها وجد المال والصحيفة، ثمَّ قدم الذي كان أسْلفهُ فأتَى بالألْف دينارٍ فقال: والله ما زلْتُ جاهِدًا في طلب مركبٍ لآتيكَ بمَا لكَ فمَا وجدْتُ مرْكبًا قبل الذيَ أتيْتُ فيه. قال: هل كنت بعثتَ إليَّ بشيءٍ؟ قال: أخبرك أنِّي لم أجِدْ مركبًا قبل الذي جئْتُ فيه. قال: فإنَّ الله قدْ أدَّى عنك

---

(١) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٤١٨).

(٢) زجج موضعها: أي سوَّىٰ موضع النقر وأصلحه.

الذي بعثْتَ في الخشبةِ، فانْصرفْ بالألفِ الدِّينارِ رَاشِدًا»[١].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «بينما ثلاثةُ نفرٍ ممَّنْ كان قبْلكم إذ أصابهُمْ مطرٌ، فأوَوْا إلى غارٍ فانطَبَق عليهم، فقال بعضهم لبعضٍ: إنَّه والله يا هؤلاءِ؛ لا يُنجيكم إلَّا الصدقُ، فلْيدْعُ كُلُّ رجلٍ منكم بِمَا يعلمُ أنَّهُ قد صَدق فيه. فقال واحدٌ منهم: اللَّهُمَّ، إنْ كنت تعلمُ أنَّهُ كان لي أجيرٌ عملَ لي على فرقٍ من أرُزٍّ، فذهب وترَكَهُ، وأنِّي عَمدْتُ إلى ذلك الفرق فزرعْتُه، فصارَ منْ أمْرِهِ أنِّي اشتريْتُ منه بقرًا، وأنَّه أتاني يطلبُ أجْرَهُ، فقلت له: اعْمِدْ إلى تلك البقر فسُقْها، فقال لي: إنَّما لي عندك فرقٌ منْ أرُزٍّ. فقلت له: اعْمد إلى تلك البقر، فإنها منْ ذلك الفرقِ. فساقها. فإنْ كنت تعلمُ أنِّي فعلتُ ذلك من خشْيتكَ ففَرِّجْ عنَّا. فانْساخَتْ عنهم الصخْرةُ. فقال الآخرُ: اللَّهُمَّ إنْ كنت تعلم أنَّهُ كان لي أبوانِ شيخانِ كبيرانِ، وكنت آتيهمَا كُلَّ ليلةٍ بلبنِ غنمٍ لي، فأبْطأتُ عنهمَا ليلةً، فجئْتُ وقد رقدَا؛ وأهلي وعيالي يتضاغَوْنَ من الجوعِ، وكنت لا أسقيهم حتى يشربَ أبَوايَ، فكرِهْتُ أنْ أوقظهُمَا، وكرِهْتُ أنْ أدعهُمَا فيستكِنَّا لشربتِهِمَا، فلم أزَلْ أنتظِرُ حتى طلع الفجرُ. فإنْ كنت تعلمُ أنِّي فعلتُ ذلك من خَشْيتِكَ ففرِّجْ عنَّا. فانساختْ عنهم الصَّخرةُ حتى نظروا إلى السماءِ. فقال الآخرُ: اللهُمَّ إنْ كنت تعلمُ أنَّهُ كان لي ابنةُ عَمٍّ من أحبِّ الناس إليَّ، وأنِّي رَاودْتُها عن نفسها فَأبتْ إلَّا أنْ آتيهَا بمئةِ دينارٍ، فطلبْتُها حتى قدرْتُ، فأتيتُهَا بها فدفعتُهَا إليها، فأمْكَنَتْني من نفسها، فلمَّا قَعَدْتُ بين رجليها فقالت: اتَّقِ الله

(١) البخاري «الفتح» (٤/ ٢٢٩١).

ولا تَفُضَّ الخاتِمَ إلَّا بحقِّهِ، فقُمْتُ وتركْتُ المئةَ الدِّينَارِ. فإنْ كنت تعلم أنِّي فعلت ذلك من خشْيَتِكَ ففرِّجْ عنَّا، ففرَّجَ الله عنهم فخَرجُوا»[(١)].

□ عن أبي هريرة ﷺ قال: كنت مع عليِّ بن أبي طالبٍ حيثُ بعثَهُ رسولُ الله ﷺ إلى أهلِ مكَّةَ ببراءة قال: ما كنتم تُنَادُونَ؟ قال: كنَّا نُنَادِي: أنَّه لا يدخَل الجنَّة إلَّا مؤمنٌ، ولا يطُوفُ بالبيت عريانٌ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهْدٌ فإنَّ أجَلَهُ -أو أمدَهُ- إلى أربعةِ أشهُرٍ فإذا مضتِ الأربعةُ الأشهر فإنَّ الله بريءٌ من المشركينَ ورسولُهُ، ولا يَحُجُّ هذا البيت بعد العام مشرِكٌ، فكنتْ أُنَادِي حتَّى صَحِلَ صَوْتِي[(٢)]»[(٣)].

• عن عبد الله بن عامرٍ ﷺ أنَّهُ قال: دعتْني أمِّي يومًا ورسولُ الله ﷺ قاعِدٌ في بيتنَا، فقالت: ها تَعَال أُعطيكَ، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «**وَما أرَدْتِ أن تُعْطِيَهُ؟**» قالت: أُعْطيه تمْرًا، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «**أَمَا إنَّكِ لوْ لمْ تُعْطِيهِ**[(٤)] **شيئًا كُتِبَتْ عليك كذْبةٌ**»[(٥)].

• عن أمِّ هانيءٍ ابنة أبي طالبٍ ﷺ قالتْ: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عَامَ الفتح فوجدته يغتسل وفاطمةُ ابنته تستره، فسلَّمْتُ عليه فقال: «من

---

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٤٦٥) واللفظ له، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) صحل صوتي: أي بَحَّ أي غلظ وخشونة في الصوت.

(٣) أحمد (٢/ ٢٩٩) واللفظ له. والترمذي (٣٠٩١- ٣٠٩٢) وآخر عنده من حديث علي ﷺ (٨٧١)، وقد سأله زيد بن أتبع، وقال الترمذي: حسن، وفي الباب عن أبي هريرة ﷺ. وابن مردويه والبزار. وأصله عند البخاري (٤٦٥٥).

(٤) لم تعطيه: هكذا وردت بإثبات الياء، والقواعد تقتضي حذفها بعد لم.

(٥) أبو داود (٤٩٩١) واللفظ له وقال الألباني (٤١٧٦): حسن، «الصحيحة» (٧٤٨)، وأحمد (٣/ ٤٤٧).

هذه؟» فقلت: أنا أمُّ هانيءٍ بنتُ أبي طالبٍ. فقال: «مرحبًا بأمِّ هانيءٍ»، فلمَّا فرغَ من غسله قام فصلَّى ثمانِ ركعاتٍ ملتحِفًا في ثوبٍ واحدٍ. فقلتُ: يا رسول الله، زعم ابن أمِّي عليٌّ، أنَّه قاتلٌ رجلًا قد أجرتُه؛ فلانُ ابن هبيرة. فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرْنَا من أجرتِ يا أمَّ هانيءٍ»، قالت أمُّ هانيءٍ: وذلك ضُحًى[١].

• عن أبي جرَيٍّ جابر بن سليمٍ، قال: رأيتُ رجلًا يصدر النَّاسُ عنْ رأيه، لا يقول شيئًا إلَّا صدروا عنه، قلتُ: من هذا؟ قال: هذا رسول الله ﷺ، قلت: أنت رسول الله ﷺ؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابكَ ضُرٌّ فدعوتَهُ كشفَهُ عنك، وإنْ أصابك عامُ سَنَةٍ[٢] فدعوْتَهُ أنبتها لك وإذا كنت بأرضٍ قفراءَ أو فلاةٍ فضلَّتْ راحلتُك فدعوْتَهُ ردَّها عليك» قلتُ: اعهد إليَّ، قال: «لا تسُبَّنَّ أحدًا» قال: فمَا سببْتُ بعدهُ حُرًّا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاةً، قال: «ولا تحْقرَنَّ شيئًا من المعروفِ، وأنْ تكلِّمَ أخاكَ وأنْتَ مُنْبَسِطٌ إليهِ وجْهُكَ، إنَّ ذلك من المعروفِ، وارْفَعْ إزَارَكَ إلى نصفِ السَّاقِ، فإنْ أبَيْتَ فإلى الكعبين، وإيَّاكَ وإسْبالَ الإزَارِ، فإنَّهَا من المخِيلَةِ[٣]، وإنَّ الله لا يُحبُّ المخيلَةَ، وإن امرُؤٌ شتمك وعيَّرك بمَا يعلمُ فيكَ فلا تُعيِّرْهُ بمَا تعلمُ فيه، فإنَّمَا وبَالُ ذلك عليه»[٤].

---

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٣١٧١) واللفظ له، ومسلم (٣٣٦).

(٢) عام سنة: أي عام جدب.

(٣) المخيلة -بفتح الميم وكسر الخاء- والخال والخيل والخيلاء والخيلة كله الكبير.

(٤) أبو داود (٤٠٨٤) وقال الألباني: صحيح، والترمذي (٢٨٧٧). وصححه ابن حبان رقم (١٢٢١) في الموارد، ومحقق «جامع الأصول» (١١/ ٧٤٦).

• عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العَهْدُ الذي بيْنَنَا وبينَهُمُ الصَّلاةُ، فمنْ تَرَكها فقدْ كَفَرَ**»(١).

• عن عبد الرحمن بن عبد ربِّ الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبدالله بن عمرِو بن العاص جالسٌ في ظلِّ الكعبة. والنَّاسُ مجْتَمِعُونَ عليه. فأتيتُهُمْ. فجلستُ إليهِ. فقال: كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ في سفرٍ. فنزلنا منزلًا. فمِنَّا من يُصْلحُ خِبَاءَه. ومنَّا منْ ينتضِلُ (٢) ومنَّا من هو في جَشَرِهِ(٣) إذ نادَى مُنَادِي رسول الله ﷺ: «**الصَّلاة جامعةً**»(٤). فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**إنَّه لم يكنْ نبيٌّ قَبْلي إلَّا كان حقًّا عليه أنْ يدلَّ أمَّتَهُ على خيرِ ما يَعْلَمُهُ لهم، ويُنْذِرَهُمْ شرَّ ما يعلمه لهم. وإنَّ أمَّتكم هذه جُعِلَ عافِيَتُهَا في أوَّلِهَا. وسيُصيبُ آخرَها بلاءٌ وأمورٌ تنكِرُونَها. وتجيءُ فتنةٌ فيُرَقِّقُ بعضها بعضًا(٥)، وتَجِيءُ الفتنةُ، فيقول المؤمن: هذه مهلكتي. ثمَّ تنكشفُ. وتجيءُ الفتنةُ، فيقُولُ المؤمن: هذه هذه. فمنْ أحبَّ أنْ يُزَحْزح عن النَّارِ ويُدخل**

---

(١) الترمذي (٢٦٢١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. والنسائي (١/ ٢٣١) وغيرهم وقال محقق «الجامع» (٥/ ٢٠٤): وهو حديث صحيح.

(٢) ومِنّا من ينتضِل: هو من المناضلة، وهي المراماة بالنشاب.

(٣) في جشره: قوم يخرجون بدوابهم على المرعى ويبيتون مكانهم ولا يأوون إلى البيوت.

(٤) الصلاة جامعة: هي بنصب الصلاة، على الإغراء، ونصب جامعة على الحال.

(٥) فيرقق بعضها بعضًا: هذا اللفظة، رويت على أوجه: أحدها، وهو الذي نقله القاضي عن جمهور الرواة، يرقق أي يصير بعضها رقيقًا أي خفيفًا لعظم ما بعده، والثاني يجعل الأول رقيقًا، وقيل معناه يشبه بعضه بعضًا. وقيل: يدور بعضها في بعض ويذهب ويجيء. وقيل: معناه يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها. والثاني: فيرفق. والثالث: فيدفق، أي يدفع والدفق هو الصب ويصب.

الجنَّة، فلتأته منيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخرِ. وليأْت إلى الناس الذي يُحبُّ أنْ يؤتى إليه (١). **ومن بايع إمامًا، فأعطاهُ صفقة يده وثمرةَ قلبه، فليُطعه إن استطاعَ. فإنْ جاء آخرُ يُنازعُهُ فاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ»** فدنوتُ منه فقلتُ له: أنشُدُكَ الله آنتَ سمعتَ هذا من رسولِ الله ﷺ؟ فأهْوَى إلى أُذنيه وقلبه بيديه. وقال: سمعتْهُ أُذُنايَ ووعَاهُ قلبي. فقلتُ له: هذا ابنُ عمِّكَ معاويةُ يأمرنا أن نأكُلَ أموالنَا بيننا بالباطِلِ. ونقْتُلَ أنفسنا. والله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾ [النساء]. قال: فسكتَ ساعةً ثمَّ قال: **أطِعْهُ في طاعةِ الله، واعصه في معصيةِ الله** (٢).

• عن سليمِ بن عامرٍ – رجلٍ من حمير – قال: كان بين معاويةَ، وبين الرُّوم عهدٌ، وكان يسيرُ نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهُم، فجاءَ رجلٌ على فرسٍ أو برذونٍ وهو يقولُ: الله أكبرُ، اللهُ أكبر، وفاءٌ لا غَدْرٌ، فنظروا فإذا عمرُو بن عَبَسَةَ، فأرْسَلَ إليه معاويةُ فسألهُ، فقال: سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **«منْ كان ينهُ وبين قومٍ عهْدٌ فلا يَشُدَّ عُقْدَةً، ولا يحُلَّهَا حتَّى ينْقَضِيَ أمَدُها أوْ ينْبِذَ إليهمْ على سواءٍ»** فرجع معاوية (٣).

---

(١) وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه: هذا من جوامع كلمه ﷺ، وبديع حكمه. وهذه قاعدة مهمة، فينبغي الاعتناء بها. وأن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوا معه.

(٢) مسلم (١٨٤٤).

(٣) الترمذي (١٥٨٠) وقال: حديث حسن. وأبو داود (٢٧٥٩) واللفظ له وقال الألباني (٢٣٩٧): صحيح. وعند أحمد (٤/١١٣) انظر تحقيق «جامع

• عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**المسلِمُونَ تتكَافأُ دماؤُهُمْ: يسعَى بذمَّتهم أدْناهم، ويُجيرُ عليهم أقصاهُمْ، وهمْ يَدٌ على منْ سواهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُم على مضعفهم، ومُتَسرِّعُهُمْ على قاعدهمْ، لا يُقْتَلُ مُؤْمنٌ بكافرٍ، ولا ذُو عهْدٍ في عهْدِهِ**»(١).

• عن أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**منْ صلَّى الصُّبْحَ، فهو في ذِمَّةِ الله. فلا تخفروا الله في عهدِهِ. فمنْ قتله، طلبهُ اللهُ حتَّى يكُبَّهُ في النَّارِ على وجْهِهِ**»(٢).

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضِهِ: «**ودِدْتُ أنَّ عنْدي بعضَ أصحابي**» قلْنَا: يا رسول الله، ألا ندْعو لك أبا بكْرٍ؟ فسكتَ. قلنا: ألا ندْعُو لك عُمرَ؟ فسكتَ. قلنا: ألا ندعُو لك عُثْمَانَ؟ قال: «**نعمْ**» فجاءَ، فخلا به، فجعل النبيُّ ﷺ يكلِّمُهُ. ووجْهُ عثمَان يتغيَّرُ. قال قيسٌ: فحدَّثني أبو سهلةَ، مولى عثمَان: أنَّ عثمَان بن عفَّانَ قال يوم الدَّار: إن رسولَ الله ﷺ عهد إليَّ عهْدًا. فأنا صائِرٌ إليه. وقال عليٌّ في حديثه: وأنا صابرٌ عليه. قال قيسٌ: فكانوا يرونَهُ ذلك اليومَ»(٣).

الأصول» (٢/ ٦٤٨).

(١) أبو داود (٢٧٥١) وقال الألباني (٢٣٩٠): حسن صحيح. وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/ ٢٥٥): «إسناده حسن».

(٢) الترمذي (٢١٦٤) و(٢٢٢). وابن ماجه (٣٩٤٥). وقال في «الزوائد»: رجال إسناده ثقات. إلا إنه منقطع. وسعد بن إبراهيم لم يدرك حابس بن سعد، قاله في «التهذيب». وهو عند مسلم (٦٥٧) بلفظ آخر نحوه.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٥٢)، وبعضه في الترمذي (٣٧١١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. ورواه ابن ماجه في «المقدمة» (١١٣)، واللفظ له وقال =

• عن عليٍّ ﷺ قال: والذي فلقَ الحبَّة وبرأَ النَّسمةَ إنَّهُ لعهدُ النبيِّ الأميِّ ﷺ إليَّ: «**لا يُحبُّني إلَّا مؤمنٌ، ولا يبغضُني إلَّا مُنَافِقٌ**»(١).

علو همة النبي ﷺ في الوفاء:

□ قال العلَّامة المَاوردي في كتابه «أعلام النُّبُوّة» في شرف أخلاقه وكمَال فضائله ما نصُّه: «الخصلة السادسة: حفظه للعهد، ووفاؤه بالوعد، فإنه ما نقض لمحافظٍ عهدًا، ولا أخلف لمراقب وعدًا، يرى الغدر من كبائر الذنوب، والإخلاف من مساوئ الشيم، فيلتزم فيها الأغلظ، ويرتكب فيهمَا الأصعب، حفظًا لعهده، ووفاء بوعده؛ حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه، فيجعل الله تعالى له مخرجًا».

✍ وكان من هَدْيه ﷺ أن أعداءه إذا عاهدوا واحدًا من أصحابه على عهد لا يَضُرّ بالمسلمين أمضاه لهم:

• فعن حذيفة بن اليمَان ﷺ قال: ما منعني أن أَشْهَدَ بدرًا إلَّا أني خرجت أنا وأبي حُسَيْلٌ. قال: فأخذَنَا كُفَّارُ قريش. قالوا: إنكم تُريدون محمدًا؟ فقال: ما نُريدُه. ما تُريد إلَّا المدينة. فأخذوا منَّا عَهْدَ الله وميثاقَه لننصَرِفَنَّ إلى المدينة ولا نقاتِلْ معه. فأتينا رسول الله ﷺ فأَخْبَرنَاهُ الخَبَرَ، فقال: «**انْصَرِفا. نفي لهم بعهدهم، ونستعين بالله عليهم**»(٢).

• ويُجير من أجاره أحدٌ من المسلمين، ولو كانتِ أمرأة، ولا يخيس

محققه في «الزوائد»: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(١) رواه مسلم (٧٨).

(٢) رواه مسلم (١٧٨٧).

بأي عهد قال ﷺ: «قد أَجَرْنَا [١] من أَجَرْتِ يا أُمَّ هانيء»[٢].

وفي رواية: «وأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْت».

عِظَمُ وفاء النبي ﷺ يوم الحُدَيبية:

• عن المسورِ بن مخرمةَ ومروان رضي الله عنهما قالا: خرج رسولُ الله ﷺ زمن الحديبية، حتَّى إذا كانوا ببعض الطَّريقِ، قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ خالد ابن الوليد بالغَمِيم [٣] في خيلٍ لقُرَيْشٍ طليعةً، فخذوا ذات اليمينِ». فوالله ما شعر بهم خالدٌ حتَّى إذا همْ بقترة [٤] الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقُرَيْشٍ، وسار النبيُّ ﷺ، حتَّى إذا كان بالثَّنيَّة التي يُهْبطُ عليهم منها بركتْ به راحلته، فقال النَّاسُ: حَلْ حَلْ [٥]. فألحَّتْ. فقالوا: خَلأَتِ القصْوَاءُ [٦]. فقال النبيُّ ﷺ: «ما خَلأَتِ القصْواءُ وما ذاك لها بخُلُقٍ. ولكنْ حَبَسَها حَابِسُ الفيل» [٧]. ثمَّ قال: «والذي نفسي بيده لا يسألُونني خُطَّةً [٨] يُعَظِّمُون فيها حُرُماتِ الله إلَّا أعطيتُهُمْ إيَّاها». ثمَّ زجَرَها فوثَبَتْ. قال: فعدل عنهم حتَّى نزلَ بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ [٩] قليلِ المَاءِ يتبرَّضُهُ

---

(١) أجرتُ الرَّجُل: منعتُ مَن يُريده بسوء.

(٢) رواه البخاري ومسلم، وزاد أبو داود والترمذي، «وأَمَّنَّا مَن أَمَّنْتِ».

(٣) الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

(٤) قترة: بفتحتين: الغبار الأسود.

(٥) حَلْ حَلْ: هو زجر الناقة للنهوض.

(٦) خلأت القصواء: حَرَنَتْ من غير علة والقصواء: اسم لناقة رسول الله ﷺ.

(٧) حبسها حابس الفيل: أي حبسها الله عَزَّوَجَلَّ عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها.

(٨) خُطَّةَ: أي خصلة.

(٩) ثمد: بفتحتين – أي حُفيرة فيها ماء مثمود أي قليل.

النَّاسُ [١] تَبَرُّضًا، فلم يُلبِّثهُ [٢] الناسُ حتَّى نَزَحُوهُ، وشُكِيَ إلى رسولِ الله ﷺ العطشُ؛ فانتزَعَ سهْمًا من كنانتِهِ، ثمَّ أمرهُمْ أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيشُ لهم بالرِّيِّ حتى صدرُوا عنه [٣]. فبينمَا هم كذلك، إذ جاء بُديْلُ بن ورْقَاءَ الخُزَاعيُّ في نفرٍ من قومه من خُزَاعة – وكانوا عيبةَ نُصْحِ [٤] رسول الله ﷺ من أهل تهامةَ – فقال: إنِّي تركْتُ كعب بن لُؤَيٍّ وعامر بن لؤيٍّ، نزلُوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذُ المطافيلُ [٥]، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت. فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّا لم نجيءْ لقتالِ أحدٍ، ولكنَّا جئنا معتَمرين، وإنَّ قريشًا قد نهكتهم الحربُ وأضرَّتْ بهم، فإنْ شاءوا ماددتهم مدَّةً ويُخَلُّوا بيني وبين النَّاسِ، فإنْ أظهرْ، فإنْ شاءوا أنْ يدخلوا فيمَا دخل فيه النَّاسُ فعلوا، وإلَّا فقد جَمُّوا** [٦]. **وإنْ همْ أبوْا فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنَّهُمْ على أمري هذا حتَّى تنْفَرِدَ سالِفَتي** [٧]، **ولَيُنْفِذَنَّ الله أمرهُ**» فقال بُدَيلٌ: سأبلِّغهم ما تقول. قال: فانطلق حتَّى أتى قريشًا، قال: إنَّا جئْناكم من هذا الرَّجل، وسمعناهُ يقولُ قولًا، فإنْ شئْتم أنْ نعرضَهُ عليكم فعلنا. فقال: سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرونا عنه

---

(١) يتبرضه الناس: أي يأخذون منه قليلاً قليلاً.

(٢) لم يلبثه الناس: أي لم يتركوه يلبث أي يقيم.

(٣) يجيش لهم بالري حتىٰ صدروا عنه: أي يفورُ بالماء حتىٰ رجعوا.

(٤) عيبة نصح رسول الله: أيْ موضع النُّصْحِ له والأمانة علىٰ سِرِّه.

(٥) العوذ المطافيل: الناقة التي وضعت إلىٰ أن يقوىٰ ولدها.

(٦) جَموا: أي قووا.

(٧) حتىٰ تنفرد سالفتي: أي حتىٰ أموت وأبقىٰ منفردًا في قبري، والسالفة: صفحة العنق.

بشيءٍ. وقال ذَوُو الرَّأْي منهم: هاتِ ما سمعتَهُ يقول. قال سمعتهُ يقول كذا وكذا. فحدَّثَهُمْ بمَا قال النبيُّ ﷺ. فقامَ عروةُ بن مسعودٍ فقال: أيْ قومِ، ألستم بالوالدِ؟ قالوا: بلى. قال: أولستُ بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتَّهمُوني؟ قالوا: لا. قال: ألسْتُم تعلمون أنِّي استنْفَرْتُ أهل عُكَاظٍ، فلمَّا بلَّحُوا[١] عليَّ جئْتُكُمْ بأهلي وولدي ومنْ أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإنَّ هذا قدْ عرض عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ، اقبلوها ودعوني آته. قالوا ائْته. فأتاه فجعل يُكلِّمُ النبيَّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ نحْوًا من قوله لبُدَيْلٍ. فقال عروةُ عند ذلك: أيْ محمَّدُ، أرأيت إن اسْتأصلتَ أمْرَ قومك، هل سمعتَ بأحدٍ من العرب اجتاحَ أهلهُ[٢] قَبْلَكَ؟ وإنْ تَكُنِ الأخْرَى، فإنِّي والله لا أرى وجوهًا، وإنِّي لأرى أشوابًا[٣] من الناس خليقًا[٤] أنْ يفرُّوا ويدعُوك. فقال لهُ أبو بكرٍ: امْصُصْ بظْرَ اللَّاتِ[٥]، أنحْنُ نفِرُّ عنه وندعُهُ؟ فقال: منْ ذَا؟ قالوا: أبو بكرٍ. قال: أما والذي نفسي بيدهِ، لولا يَدٌ كانت لك عندي لم أجْزِكَ بها لأجبْتُكَ. قال: وجعل يُكلِّمُ النبيَّ ﷺ، فكلمَا تكلم كلمةً أخذَ بلحْيَتِهِ، والمغيرة بن شعبةَ قائِمٌ على رأس النبيِّ

---

(١) بلَّحوا: أي امتنعوا من الإجابة.

(٢) اجتاح أهله: أي أهلك أصلهم.

(٣) أشوابًا: أي أخلاطًا من أنواع شتىٰ.

(٤) خليقًا: أي حقيقًا وجديرًا.

(٥) امصص بظر اللات: البظر قطعة تبقىٰ بعد الختان في فرج المرأة، واللات اسم أحد الأصنام التي كانوا يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ «الأم» بدلا من «اللات» فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه.

ﷺ ومعهُ السَّيْفُ وعليه المغفرُ [١]، فكلمَا أهْوَى عرْوةُ بيدهِ إلى لِحْيةِ رسولِ الله ﷺ ضرب يدهُ بنَعْلِ السَّيْفِ وقال له: أخِّرْ يدك عن لحيَةِ رسول الله ﷺ. فرفعَ عُروةُ رأسهُ فقال: من هذا؟ قال: المغيرةُ بن شُعبةَ. فقال: أيْ غُدَرُ [٢]، ألسْتُ أسْعَى في غدْرتكَ؟ وكان المغيرةُ صحِبَ قومًا في الجاهليَّةِ فقتلهم وأخذَ أموالهم ثمَّ جاءَ فأسلمَ. فقال النبيُّ ﷺ: «**أمَّا الإسلامُ فأقبَلُ، وأمَّا المَالُ فلسْتُ منهُ في شيءٍ**». ثمَّ إنَّ عروة جعل يرْمُقُ [٣] أصحاب النبيِّ ﷺ بعينيه. قال: فوالله ما تنَخَّمَ رسولُ الله ﷺ نُخامَةً [٤] إلَّا وقعتْ في كفِّ رجلٍ منهم فدلكَ بها وجْهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدرُوا أمرَهُ، وإذا توضَّأَ كادُوا يقتتلون على وضُوئه [٥]، وإذا تكلَّموا خفضوا أصواتهم عندهُ، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظرَ تعظيمًا له. فرجع عُرْوةُ إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقدْ وفدْتُ على الملوكِ، ووفدتُ على قيْصَرَ وكسرى والنَّجَاشيِّ، والله إنْ رأيت مليكًا قطُّ يعظِّمُهُ أصحابه ما يعظمُ أصحابُ محمدٍ ﷺ محمدًا والله ما يتنَخَّمْ نُخامةً إلَّا وقعتْ في كفِّ رجل منهم فدلكَ بها وجْهَهُ وجلده، وإذا أمرهمْ ابتدرُوا أمرَهُ، وإذا توضَّأَ كادُوا يقتتلون على وضُوئه، وإذا تكلَّمُوا خفَضُوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظر تعظيمًا له. وإنَّه قد عرض عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ فاقبلوها. فقال رجلٌ من بني كنانة: دعوني آتِهِ، فقالوا: ائْتِهِ. فلمَّا أشرف على النَّبيِّ ﷺ

---

(١) المغفر: حلق يتقنع به المتسلح وربما كان مثل القلنسوة غير أنها أوسع.

(٢) أي غدر: مبالغة في وصفه بالغدر.

(٣) يرمق: أي يلحظ.

(٤) النخامة: البزقة التي تخرُج من أقصىٰ الحَلْق ومن مخرج الخاء.

(٥) الوَضوء – بفتح الواو- : الماء الذي يُتوَضَّأ به.

وأصحابِهِ قال رسول الله ﷺ: «**هذا فلانٌ، وهو من قوم يعظِّمُون البدنَ**[١]، **فابْعَثُوهَا له**». فبُعِثَتْ له، واستقْبَلَهُ الناس يلَبُّونَ. فلمَّا رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدُّوا عن البيتِ. فلمَّا رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلِّدتْ وأشعرت، فمَا أرى أن يصدُّوا عن البيتِ. فقام رجلٌ منهم يُقال له مكرزُ بن حفصٍ فقال: دعُوتي آته. فقالوا: ائته. فلمَّا أشرف عليهم، قال النبيُّ ﷺ: «**هذا مكْرَزٌ، وهو رجلٌ فاجرٌ**» فجعل يكلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ. فبينمَا هو يكلِّمه إذْ جاء سهيل بن عمرٍو. قال معمرٌ: فأخبرني أيوبُ عن عكرمة أنَّه لمَّا جاء سهيل بن عمرٍو، قال النبيُّ ﷺ: «**قد سَهُلَ لكم منْ أمرِكُمْ**» قال معمرٌ: قال الزُّهريُّ في حديثه: فجاء سهيلُ بن عمرٍو فقال: هات اكتُبْ بيننا وبينكم كتابًا. فدعا النبيُّ ﷺ الكاتبَ، فقال النَّبيُّ ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال سهيلٌ: أما «الرَّحمن» فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتبْ: باسْمِكَ اللهمَّ، كمَا كنت تكتب، فقال المسلمونَ: والله لا نكتبها إلَّا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. فقال النبيُّ ﷺ: «**اكتُبْ: باسمكَ اللهُمَّ**». ثم قال: «**هذا ما قاضَى عليه محمَّدٌ رسولُ الله**» فقال سُهيلٌ: والله لو كنَّا نعلمُ أنَّك رسول الله ما صددناك عن البيتِ ولَا قاتلْنَاكَ، ولكن اكتبْ «محمدُ ابنُ عبد الله»، فقال النبيُّ ﷺ: «**والله إنِّي لرسُولُ الله وإن كذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ: محمَّدُ بن عبد الله**». قال الزُّهريُّ: وذَلك لقوله: «لاَ يسألُونني خُطَّةً يعظِّمُونَ فيها حرماتِ الله إلَّا أعطيتهم إيَّاها». فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**على أنْ تخَلُّوا بيننا وبين البيت فنطُوفَ به**». فقال

---

(١) البُدْن: جمع بَدَنة وهي تقع على الجمل والناقة والبقرة، وهي بالإبل أشبه سميت بدنة لعظمها وسمنها.

سهيلٌ: والله لا تتحدَّثُ العرب أنَّا أُخذْنا ضغْطَةً[١]. ولكن ذلك من العام المُقْبل، فكتب، فقال سهيلٌ: وعلى أنَّهُ لا يأتيك منَّا رجلٌ وإنْ كان على دينكَ إلَّا رددته إلينا. قال المسلمونَ: سبحان الله، كيف يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟ فبينمَا همْ كذلك إذ دخل أبو جَنْدَلِ بنُ سهيلِ بن عمرٍو يرسفُ في قُيُوده[٢]، وقد خرج من أسفل مكَّة حتَّى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيلٌ: هذا يا محمدُ أوَّلُ من أقاضِيكَ عليه أن ترُدَّه إليَّ. فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّا لمْ نقْضِ الكتابَ بَعْدُ**». قال: فوالله إذًا لم أصالِحْكَ على شيءٍ أبدًا. قال النَّبيُّ ﷺ: «**فأجِزْهُ لي**»، قال: ما أنا بمُجيزِهِ لك، قال: «**بلى فافعل**»، قال: ما أنا بفاعل. قال مكْرَزٌ: بل قد أجزْنَاهُ لك. قال أبو جنْدَلٍ: أيْ معشر المسلمين، أرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلمًا؟ ألا ترونْ ما قد لقيتُ؟ وكان قد عذِّبَ عذابًا شديدًا في الله. قال: فقال عمر بن الخطَّابِ. فأتَيْتُ نبيَّ الله ﷺ فقلتُ: ألست نبيَّ الله حقًّا؟ قال: «بلى» قلتُ: ألسنا على الحقِّ وعدوُّنا على الباطل؟ قال: «بلى» قلتُ: فلم نُعطي الدَّنيَّةَ في ديننا إذًا؟ قال: «**إني رسولُ الله ولستُ أعْصِيه، وهو ناصِرِي**»، قلت: أو ليس كنت تحدثنا، أنا سنأتي البَيت فنطوفُ به؟ قال: «**بلى، فأخبرتُكَ أنا نأتيه العام؟**» قال: قلتُ: لا. قال: «**فإنَّكَ آتيه ومُطَوِّفٌ به**». قال: فأتيت أبا بكرٍ فقلتُ: يا أبا بكرٍ، أليس هذا نبيَّ الله حقًّا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحقِّ وعدُّونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نُعْطي الدنِيَّةَ في ديننا إذًا؟ قال: أيُّها الرَّجُلُ، إنَّه لَرسولُ الله،

---

(١) أُخِذنا ضُغطه: أي قهرًا.

(٢) يرسف في قيوده: أي يمشي مشيًا بطيئًا بسبب القيد.

وليس يعصي ربَّه، وهو ناصره، فاستمسكْ بغرزه [١]، فوالله إنَّهُ على الحقِّ. قلتُ: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوفُ به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلتُ: لا. قال: فإنَّكَ آتيه ومطوِّفٌ به. قال الزُّهريُّ: قال عمرُ: فعملتُ لذلك أعمَالًا. قال: فلمَّا فرغَ من قضيَّةِ الكتابِ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا فانحرُوا ثمَّ احْلِقُوا**»: قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ، حتى قال ذلك ثلاث مراتٍ، فلمَّا لم يقُمْ منهم أحدٌ دخل على أمِّ سلمة فذكر لها ما لقِيَ من الناسِ، فقالتْ أمُّ سلمة: يا نبيَّ الله، أتُحِبُّ ذلك؟ اخْرُجْ، ثمَّ لا تكلِّمْ أحدًا منهم كلمةً حتى تنْحَرَ بدنَكَ، وتدْعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يُكَلِّمْ أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدْنَهُ، ودعا حالقه فحلقهُ، فلمَّا رأوْا ذلك قامُوا فنحروا، وجعل بعضهم يحلقُ بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غَمًّا. ثمَّ جاءَهُ نسوةٌ مؤْمِنَاتٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠] حتى بلغ ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ فطلَّقَ عمر يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوَّج إحداهما معاوية بن أبي سفيانَ، والأخرى صفوانُ ابن أميَّة، ثم رجع النبيُّ ﷺ إلى المدينة، فجاءَه أبو بصيرٍ – رجلٌ من قريشٍ- وهو مسلمٌ، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرَّجُلين، فخرجا به حتَّى بلغا ذا الحُلَيْفَةِ، فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم، فقال أبو بصيرٍ لأحد الرَّجلين: والله إنِّي لأرى سيفك هذا يا فلان جيِّدًا، فاستلَّهُ الآخرُ فقال: أجل، والله إنَّه

---

(١) فاستمسك بغرزه: الغرز للناقة مثل الحزام للفرس والمراد اعتلق به واتبع قوله وفِعْله ولا تُخالِفْه.

لجيِّدٌ، لقد جرَّبْت به ثمَّ جَرَّبْتُ. فقال أبو بصيرٍ: أرني أنظر إليه، فأمْكنَهُ منه، فضربَهُ حتَّى بَرَدَ [١]، وفرَّ الآخرُ حتَّى أتى المدينة، فدخل المسجدَ يَعْدُو، فقال رسول الله ﷺ حينَ رآهُ: «لقدْ رَأى هذا ذُعْرًا»، فلمَّا انتهى إلى النَّبيِّ ﷺ قال: قُتِلَ والله صاحبي وإنِّي لمقتُولٌ. فجاء أبو بصيرٍ فقال: يا نبيَّ الله، قدْ والله أوْفَى الله ذِمَّتَكَ قدْ رددتني إليهم، ثمَّ أنْجاني الله منهم. قال النَّبيُّ ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ [٢] لو كان له أحَدٌ» فلمَّا سَمِعَ ذلك عرف أنَّهُ سَيَرُدُّهُ إليهم، فخرج حتَّى أتى سِيفَ البَحْرِ [٣]. قال: وينْفلت منهم أبو جَنْدَلِ بن سُهيْلٍ فلحقَ بأبي بصيرٍ، فجعل لا يخرجُ من قريشٍ رجلٌ قدْ أسلم إلَّا لحق بأبي بصيرٍ، حتَّى اجتمعَتْ منهم عصابةٌ، فوالله ما يسمعونَ بعيرٍ خرجتْ لقريشٍ إلى الشَّامِ إلَّا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم. فأرْسَلَتْ قريشٌ إلى النَّبيِّ ﷺ تُنشده الله والرَّحِمَ لَمَا أرْسل فمنْ أتاهُ فهو آمِنٌ، فأرسلَ النَّبيُّ ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] حتى بلغ ﴿ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦] وكانت حميَّتُهم أنهم لم يقرُّوا أنَّهُ نبيُّ الله، ولم يُقِرُّوا ببسمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وحالوا بينهم وبين البيتِ» [٤].

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنت مع النبيِّ ﷺ في سفرٍ، فكنت

---

(١) حتىٰ بَرَد: أي حتىٰ مات.

(٢) ويل أمه مسعر حرب: ويل أمه كلمة ذم تقولها العرب في المدح ولا يقصدون معنىٰ ما فيها من الذم، مسعر حرب: أي من يسعرها كأنه يصفه بالإقدام في الحرب.

(٣) سيف البحر: أي ساحله.

(٤) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٧٣٢)، ومسلم مقطعًا في (١٧٨٣، ١٧٨٤، ١٧٨٥).

على جَمَلٍ ثَفَالٍ [١] إنمَا هو في آخر القوم، فمرَّ بي النَّبيُّ ﷺ فقال: «منْ هذا؟» قلتُ جابر بن عبد الله. قال: «مالك؟» قلتُ: إنِّي على جملٍ ثَفَالٍ. قال: «أمَعَك قضيبٌ؟» قلتُ: نعم. قال: «أعطنِيهِ»، فأعطيْتُهُ فضربه فزَجَرَهُ، فكان من ذلك المكان من أوَّل القومِ. قال: «بِعْنِيه»، فقلت: بل هو لك يا رسول الله. قال: «بل بعْنِيهِ. قد أخذْتُهُ بأربعةِ دنانير ولك ظهْرُهُ [٢] إلى المدينة». فلمَّا دنوْنَا من المدينة أخذتُ أرتحلُ، قال: «أين تريد؟» قلت: تزوَّجتُ امرأةً قد خَلا منها. قال: «فهلَّا جاريةً تُلاعبُها وتُلاعِبُك؟». قلت: إنَّ أبي توفِّي وترك بناتٍ فأردتُ أن أنْكِحَ امرأةً قد جرَّبتْ، خلا منها، قال: «فذلك». فلمَّا قدمْنَا المدينة قال: «يا بلال اقْضِهِ، وزِدْهُ». فأعطاهُ أربعة دنانير وزادهُ قيراطًا. قال جابرٌ: لا تُفارقُني زيادةُ رسول الله ﷺ، فلم يكن القيراطُ يُفارِقُ جِرَابَ جابرِ بن عبد الله» [٣].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: ابتاع رسولُ الله ﷺ من رجلٍ من الأعراب جَزُورًا [٤] أو جزائر بوسقٍ من تمر الذُّخرةِ – وتمْرُ الذُّخْرة العجْوَةُ– فرجع به رسول الله ﷺ إلى بيته والتمس له التمر فلم يجده فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له: «يا عبد الله! إنَّا قد ابْتعْنَا منك جَزُورًا أو جزائِرَ بوسْقٍ من تمر الذُّخْرَةِ فالتمسْنَاهُ فلم نَجِدْهُ»، قال: فقال الأعرابيُّ:

---

(١) جمل ثفال: أي بطيء السير.

(٢) ولك ظهره إلى المدينة: أي تركبه إلى المدينة.

(٣) رواه البخاري (٤/ ٢٣٠٩).

(٤) الجَزور –بفتح الجيم– البعير ذكرًا كان أو أنثى إلا أن اللفظة مؤنثة، والجمع جُزُر –بضمتين– وجزائر.

وا غدْرَاهُ، قالت: فنهمَهُ[١] الناسُ وقالوا: قاتلَكَ الله، أيَغْدِرُ رسولُ الله ﷺ؟ قالتْ: فقال رسولُ الله ﷺ: «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لصاحِبِ الحقِّ مقَالًا**»، ثمَّ عادَ له رسولُ الله ﷺ فقال: «**يا عبد الله إنَّا ابتَعْنَا مِنْكَ جَزَائِرَكَ ونحنُ نَظُنُّ أنَّ عنْدنا ما سَمَّيْنَا لكَ، فالتَمَسْنَاهُ فلم نَجِدْهُ**»، فقال الأعرابيُّ: وا غدْرَاهُ، فَنَهَمَهُ الناسُ، وقالوا: قاتلَكَ الله، أيَغْدِرُ رسول الله ﷺ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا**»، فرَدَّدَ ذلك رَسُولُ الله ﷺ مرتين أو ثلاثًا، فلمَّا رآهُ لا يفْقَهُ عنه قال لرجلٍ من أصحابِهِ: «**اذهبْ إلى خُوَيْلَةَ بنت حكيم بن أميَّة فقل لها: رسولُ الله ﷺ يقولُ لكِ: إنْ كان عندك وسْقٌ من تمرٍ فأسلِفِينَاهُ حتَّى نُؤَدِّيهُ إليك إنْ شاء الله**» فذهب إليها الرَّجُلُ، ثمَّ رجع الرجل فقال: قالت: نعم، هو عندي يا رسول الله فابْعَثْ من يقبضه، فقال رسول الله ﷺ للرَّجُل: «**اذهبْ به فَأَوْفِهِ الذي له**» قال: فذهب به فأوفاهُ الذي له. قالت: فمرَّ الأعرابيُّ برسولِ الله ﷺ وهو جالسٌ في أصحابِهِ فقال: جزَاكَ الله خيرًا. فقدْ أوْفيت وأطيبْتَ. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**أولئكَ خِيَارُ عِبَادِ الله عندَ الله المُوفُونَ الْمُطَيَّبُونَ**»[٢].

• عن أبي رافعٍ رضي الله عنه قال بعثتني قريشٌ إلى رسولِ الله ﷺ فلمَّا رأيتُ رسولَ الله ﷺ أُلْقِيَ في قلبي الإسلامُ. فقلتُ: يا رسول الله إنِّي والله لا أرْجِعُ إليهم أبدًا. فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنِّي لا أَخِيسُ بالعهْدِ**[٣]، **ولا**

---

(١) فنهمه الناس، أي: زجروه.

(٢) رواه أحمد (٦/ ٢٦٨) واللفظ له، وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ١٤٠٠): «إسناد أحمد صحيح».

(٣) لا أخيس العهد: أي لا أنقضه.

أَحْبِسُ البُرْدَ، ولكن ارْجِعْ، فَإِنْ كان في نفسكَ، الذي في نَفْسِكَ الآنَ، فَارْجِعْ» قال: فذهبْتُ، ثمَّ أتيْتُ النبيَّ ﷺ، فأسْلَمْتُ[١].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينمَا يهوديٌّ يعرضُ سلعته، أعطي بها شيئًا كرههُ، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجلٌ من الأنصار، فقام فلطَمَ وجهه، وقال: تقول: والذي اصطفى موسى على البشرِ، والنَّبيُّ ﷺ بين أظْهُرِنَا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إنَّ لي ذِمَّةً وعَهْدًا، فمَا بالُ فلانٍ لطَم وجْهِي؟ فقال: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فذكره، فغضبَ النَّبيُّ ﷺ حتَّى رُؤِيَ في وجهه، ثم قال: «لا تُفَضِّلُوا بينَ أولياءِ الله، فإنَّهُ يُنْفَخُ في الصُّورِ فيُصْعَقُ مَنْ في السماوَاتِ ومن في الأرض إلَّا من شاء اللهُ، ثمَّ يُنفخُ فيه أخرى فأكونُ أوَّلَ منْ بُعِثَ، فإذا مُوسى آخِذٌ بالعرشِ، فلا أدْرِي أَحُوسِبَ بصَعْقَتِهِ يومَ الطُّورِ، أمْ بُعِثَ قَبلِي»[٢].

ومن تعظيم النبي للوفاء فإنه ﷺ شدّد وغلّظ في عقوبة من آذى ذميًّا – أي معاهدًا من أهل الكتاب – أو قتله:

• فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «مَن قَتَل مُعَاهَدًا لم يَرَحْ[٣] رائحةَ الجنَّة، وإنَّ ريحَها يُوجَد من مسيرة أربعين عامًا»[٤].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٧٥٨)، وأحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» عن أبي رافع، وصحّحه الألباني في «الصحيحة» (٧٠٢)، و«صحيح الجامع» (٢٥١٠).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٤١٤).

(٣) لم يَرَح: أي لم يجد ريحَها ولم يشمُّها.

(٤) رواه البخاري واللفظ له، وأحمد والنسائي إلا أنه قال: «من قتل قتيلاً من أهل =

• وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قَتَل مُعاهَدًا في غير كُنْهِهِ**[١]، **حَرَّمَ الله عليه الجنَّة**»[٢].

• وفي رواية للنسائي قال: «**مَن قتل رَجُلًا من أهل الذِّمَّة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا**»[٣].

• ورواه ابن حبّان في «صحيحه» ولفظه قال: «**من قتل نفسًا مُعاهَدَة بغير حقِّها لَمْ يَرَحْ رائحة الجنَّة، وإن ريح الجنة لتُوجَد من مسيرة مئة عام**».

• وعن أبي بَكْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قتل نَفْسًا مُعَاهَدَة بغير حِلِّها، حَرَّم الله عليه الجنَّة أن يشمَّ ريحها**»[٤].

وانظر إلى وفاء النبي ﷺ لكافر:

□ قال ابن إسحاق في ذكر يوم بدر: «نَهَى رسولُ الله ﷺ عن قَتل أبي البَخْتريِّ؛ لأنه كانَ أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، كان لا يُؤذيه ولا يَبْلُغُه عنه شيءٍ بَكْرَهُه، وكان مِمَّن قام في نقض الصحيفة، فَلَقِيَه المُجَذَّرُ بن ذِيادٍ البَلَوِي حليف الأنصار فقال له: إنَّ رسول الله ﷺ نهانا عن قتلِك، ومع أبي البَخْتَرِيِّ زميلٌ له خرج معه من مَكَّة وهو جُنادة

الذِّمَة» ورواه ابن ماجه.

(١) أي في غير وقته الذي يجوز قتله فيه حين لا عهد له.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي والدارمي، والحاكم عن أبي بكرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٥٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والنسائي عن رجل، وكذا رواه ابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٤٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم عن أبي بكرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٥٨).

ابن مُلَيْحة، وهو من بني ليث. قال: وزميلي؟ فقال له المجَذَّرُ: لا والله، ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله إلَّا بِكَ وحدَك. قال: لا والله، إذًا لأمُوتَنَّ أنا وهو جميعًا لا يتحدَّث عني نساء مكة أنِّي تركت زميلي حِرْصًا على الحياة. وقال ابن البختري وهو ينازل المجذر:

لـن يُـسْلِمَ ابـنُ حُـرَّةٍ زميلَـهُ ... حتـى يمـوت أو يـرى سـبيله

قال: فاقتتلا، فقتله المجذّر بن زياد..

ثم أتى المجذر رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحقِّ، لقد جهدتُ عليه أن يَسْتأسِر فآتيك به، فأبَى إلَّا أن يقاتلني، فقاتَلْتُه فقتَلْتُه»[1].

وفاء رسول الله ﷺ لمطعم بن عدي المقتول على الكفر في يوم بدر:

كان مطعم بن عَدِي من أشراف قريش، وكان رسول الله ﷺ حين رجع من الطائف، ولقي من ثقيف منكر القول والفِعل، وطلب النبي ﷺ جوار بعض رؤساء مكة، فأبوْا، فأجاره مطعم بن عدي.

فلمَّا كانت وقعة بدر بعد ذلك، ودارت الدائرة على قريش، وقُتِل نفرٌ من صناديدها، كان بين القتلى مُطعم بن عدي، وفيه يقول حسان بن ثابت، شاعر رسول الله ﷺ:

أيا عينُ فابكي سيدَ القومِ واسفَحي ... بدمعٍ وإن أنزفتِـه فاسـكبي الـدّما

وبَكّي عظـيمَ المَـشْعَرين كليهمـا ... على النَّاس معروف لهُ مـا تكلَّمـا

فلو كان مجدٌ يُخْلِـد الـدَّهرَ واحـدًا ... من الناس أبقى مجدُهُ اليومَ مطعمـا

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٩، ٦٣٠)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٤٥٠) حوادث السَّنَة الثانية.

أجرت رسول الله منهم فأصبحوا ... عبيـدَك مـا لبّـى مُلَـبٍّ وأحرمـا
فلـو سُـئِلت عنـه مَعَـدّ بأسرهـا ... وقحطـانُ أو بـاقي بقيـةِ جُرهُمـا
لقـالوا هـو المـوفي بجـيرةِ جـارهِ ... وذمّتـــهِ يومًـــا إذا مـــا تـــذمّا
فما تطلع الـشمسُ المنـيرة فـوقهم ... عـلى مثلـه فـيهم أعـزَّ وأكرمـا
إبـاءً إذا يـأبَى وأكـرم شـيمة ... وأنومُ عن جـارٍ إذا الليـلُ أظلَمَـا

ذلكم رثاء حسان لرجل من المشركين، مات يحارب محمدًا ﷺ وصحبه، يستمع إليه صاحب الدعوة، ويسرُّه أن يرى المسلمين يرددونه.

• وفي الحديث: «**لو كان المطـعم حَـيًّا، ثم كَلَّمـني في هؤلاء النتـنى** – يعني أسارى بدر – **لتركتهم**».

فأيُّ وفاءٍ فوق هذا؟! يصل إلى أعلى ما تصل إليه الرجولة والإنسانية الكاملة، فيرثي المروءة في عدو هو أحد صرعاه في القتال؟ ذلكم هو الوفاء الذي عَلَا فوق كُلِّ شيء.

رسول الله ﷺ يكرم قبيلة ظالمة مغلوبة وفاءً لمرضعته حليمة السعديَّة:

وبعد وقعة حُنين، وفيها كادت هوازن [١] تقضي على الإسلام لولا ثباته ﷺ، جاءه وفد منها، وهي الباغية المستكبرة، تطلب العفو عن أسراها، فماذا وجدت لتحرك به رحمته، وتستثير شفقته؟ لا شيء، فليس أشدّ سوادًا من ماضيها معه، ولكنها وجدت في وفائه ملجأها ومنتهاها، فقال رجل منهم: يا محمد، إن في الحظائر مرضعاتك وحواضنك، ولو

(١) غزا رسول الله ﷺ هوازن بوادي حُنين بعد فتح مكة. ومنازل هوازن في نجد مما يلي اليمن.

أنا ملحنا [١] للنعمَان بن المنذر أو الحارث بن أبي شِمر الغساني، ثم نزل منا مثل الذي نزلت، رجونا عطفه وعائدته علينا. فقال ﷺ: «**أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم**»، فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. وبذلك ردّ على هوازن آلاف الأسرى. تلك هي النفس الوفية، التي تكرم أمة ظالمة مغلوبة وفاءً للبن الذي رضعته فيها، فهل للناس وقد عفا فيهم أثر المعروف أن يتذكروا؟.

وفاؤه ﷺ لأم المؤمنين خديجة بعد موتها رضي الله عنها:

بأبي وأمي رسول الله ﷺ ما كان أعظم وفائه لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بعد موتها: «كان إذا ذبح الشاة يقولُ: أرسلوا بها إلى أصدقاءِ خديجة» [٢].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما غِرْتُ على امرأة للنبي ﷺ ما غِرْت على خديجة هَلَكَتْ [٣] قبل أن يتزوَّجني لمَا كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يُبَشِّرَها ببيتٍ من قصب، وإن كان ليذبح الشَّاة فيُهْدِي في خلائلها منها ما يسعهن» [٤].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا غِرْتُ على نساء النبي ﷺ إلَّا على خديجة وإني لم أدركها قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول:

---

(١) أي: أرْضَعْنَا.

(٢) رواه مسلم عن عائشة.

(٣) أي: ماتت. وقد سبق التنبيه على أن هذه الكلمة لا بأس بها.

(٤) رواه البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥)، وأحمد (٦/ ٥٨ و٢٠٢)، والترمذي (٣٨٧٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

«أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ: «إني قد رُزِقت حُبَّها»(١).

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ فعَرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: «اللهم هالة بنت خويلد» فَغِرْتُ فقلتُ: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشَّدقيْن هلكت في الدهر فأبدلك الله خيرًا منها»(٢).

قال: «ما أبدلني الله خيرًا منها؛ وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدَّقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمَالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء..!».

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة سوداءُ على النبي ﷺ، فأقبل عليها. قالت: فقلتُ: يا رسولَ الله، أقْبَلتَ على هذه السوداء هذا الإقبال. فقال: «إنها كانت تدخُلُ على خديجة، وإن حسن العهد من الإيمَـان».

وفاء النبي ﷺ للأنصار رضي الله عنهم:

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «الأنصار كَرِشي وعَيْبتي، والناس سيكثرون ويقلُّون فاقبلوا من مُحْسِنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»(٣).

• وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول على المنبر

---

(١) رواه مسلم (ص١٨٨٨)، وأخرجه البخاري مختصرًا (٥٢٢٩) و(٦٠٠٤)، وأخرجه الترمذي (٢٠١٧) وقال: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) رواه مسلم (٢٤٣٧)، والبخاري مُعَلَّقًا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٠١)، ومسلم (٢٥١٠)، والترمذي (٣٩٠٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه النسائي في «الفضائل» (٢٢٠).

للأنصار: «**ألا إن الناس دثاري، والأنصارُ شعاري، لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار شعبة لاتبعت شعبة الأنصار، ولولا الهجرة لكنت رَجُلًا من الأنصار، فمن ولي من الأنصار فليُحسِن إلى محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم، ومَن أفزعهم، فقد أفزع هذا الذي بيْن هاتيْن**» وأشار إلى نفسه ﷺ (١).

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مَرّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلسٍ من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يُبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا (٢). فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال: فصعد المنبر – ولم يصعده بعد ذلك اليوم – فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشي وعيبتي (٣)، وقد قضُّوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٧٩) وقال: «هذا صحيح الإسناد» ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: «صحيح».

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٢١): قوله: «ذكرنا مجلس النبي ﷺ» أي: الذي كانوا يجلسونه معه، وكان ذلك في مرض النبي ﷺ فخشوا أن يموت من مرضه فيفقدوا مجلسه فبكوا حُزْنًا على فوات ذلك».

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٢١): قوله: «كرشي وعيبتي» أي بطانتي وخاصَّتي. قال القزّاز: ضرب المثل بالكرشي لأنه مستقرّ غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه، ويقال: لفلان كرش منثورة أيْ عيال كثيرة، والعَيْبة بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده، ويريد أنهم موضع سرِّه وأمانته.
قال ابن دُرَيْد: هذا من كلامه ﷺ المُوجَز الذي لم يسبَق إليه، وقال غيره: الكرش بمنزلة المعدة للإنسان، والعيبية مستودع الثياب والأول أمرٌ باطن والثاني أمرٌ ظاهر، فكأنه ضرب المثل بهما في إرادة اختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة، والأوَّلُ أولى، وكلٌّ مِن الأمْرَين مستودع لما يخفى فيه.

محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»[١].

• ثم انظروا أخيرًا إلى مقام الوفاء من نفسه ﷺ، وهو يقول يوم أحد حين أمر بدفن القتلى: «**انظروا إلى عمرو ابن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانا متصافيَيْن في الدنيا، فاجعلوهمَا في قبرٍ واحد**»[٢].

□ وعن **أبي الطفيل** رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ يقسم لحمًا بالجعرانة، وأنا يومئذٍ غلام أحمل عضو البعير، فأتته امرأة فبسط لها رداءها. قلت: من هذه؟ قيل: هذه أمه التي أرضعته»[٣].

وفاء الصِّدِّيق رضي الله عنه للنبي ﷺ:

□ عن **أبي جُحيفَة** رضي الله عنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ أبيض قدْ شاب، وكان الحسن بن عليٍّ يُشْبِهه، وأمر لنا بثلاثة عشر قلُوصًا، فذهبنا نقْبِضُها فأتانا موْته فلم يُعْطونا شيئًا، فلمَّا قام أبو بكرٍ قال: من كانت له عند رسول الله ﷺ عِدَةٌ فليجيءْ، فقُمْتُ إليه فأخبرته، فأمر لنا بها»[٤].

□ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ قال لي: لوْ قدْ جاءَنا مالُ البحْرين قدْ أعطيتُكَ هكذا وهكذا وهكذا. فلمَّا قُبض رسولُ الله ﷺ وجاءَ مالُ البحْرَيْن قال أبو بكرٍ: منْ كانت له عندَ رسولِ الله ﷺ عدةٌ فليأتني، فأتيتُهُ فقلت: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد كان قال لي: لو قد جاءَنَا مالُ

---

(١) رواه البخاري (٣٧٩٩)، والنسائي في «الفضائل» (٢٤١).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٢٦٥).

(٣) البخاري في «الأدب المُفرد».

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٨٢٦) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن، وأصله عند البخاري (٣٥٤٤)، ومسلم (٢٣٤٢).

البحرين لأعْطيتُكَ هكذا وهكذا وهكذا. فقال لي: احْثُهُ. فحَثَوْتُ حَثْيَةً. فقال لي: عدَّهَا. فعددتُها، فإذا هي خمسمئةٍ، فأعطاني ألفًا وخمسمئة»[1].

وفاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

□ عن عمرو بن ميمُونٍ الأوْدِيِّ؛ قال: رأيت عمر بن الخطَّابِ رضي الله عنه قال: يا عبد الله بن عمر، اذهبْ إلى أُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل: يقرأُ عمرُ بن الخطَّابِ عليك السلام، ثمَّ سَلْهَا أنْ أُدْفنَ مع صاحبيَّ. قالت: كنتُ أريدُهُ لنفسي، فلأُوثِرَنَّهُ اليوم على نفسي. فلمَّا أقبل: قال له: ما لديك؟ قال: أذنتْ لك يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شيءٌ أهمَّ إليَّ من ذلك المضْجَعِ، فإذا قُبِضْتُ فاحْمِلُوني، ثمَّ سَلِّمُوا، ثم قل: يستأذنُ عمرُ ابن الخطَّابِ، فإنْ أذنتْ لي فادفنوني، وإلَّا فرُدُّوني إلى مقابر المسلمين، إنِّي لا أعلم أحدًا أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاءِ النَّفَرِ الذين توفِّي رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فمنِ استخْلَفُوا بعدي فهو الخليفةَ فاسمَعُوا له وأطيعُوا فسَمَّى عثمَان وعليًّا وطلحةَ والزُّبيرَ وعبد الرحمن بن عوفٍ وسعد بن أبي وقاصٍ. وولجَ عليه شابٌّ من الأنصارِ فقال: أبشرْ يا أمير المؤمنين ببُشْرى الله: كان لك من القدمِ في الإسلام ما قد علمتَ، ثمَّ استُخْلِفْتَ فعدلت، ثمَّ الشَّهادةُ بعد هذا كلِّهِ. قال: ليْتَني يا ابن أخي، وذلك كفافًا لا عليَّ ولا لي. أُوصي الخليفةَ من بعدي بالمُهاجرينَ الأوَّلين خيرًا، أنْ يعرفَ لهم حقَّهُمْ، وأن يحفظ لهم حرْمَتَهُمْ وأُوصيه **بالأنصارِ خيرًا، الذين تبوَّءُوا الدار والإيمَان أن يقبل من محسنهم، ويُعْفَى عن مُسيئِهِمْ.** وأوصيه بذِمَّةِ الله وذمَّة رسولِهِ ﷺ أن يُوفَّى لهم

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣١٦٤) وهذا لفظه، ومسلم (٢٣١٤).

بعهدهم، وأنْ يُقَاتلَ منْ ورائهم، وأنْ لا يُكَلَّفُوا فوق طاقتهم»[١].

□ عن معدانَ[٢] بن أبي طلحة اليَعْمُرِيِّ: أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ قام على المنبرِ يوم الجمعة فحمدَ الله وأثنَى عليه، ثمَّ ذكر رسول الله ﷺ، وذكر أبا بكرٍ، ثم قال: «رأيتُ رُؤْيا لا أراها إلَّا لحضورِ أجلي، رأيتُ كأنَّ دِيكًا نقرني نقرتين، قال: وذكر لي أنَّه دِيكٌ أحمرُ، فقصصْتُهَا على أسمَاءَ بنت عُمَيْسٍ امرأةِ أبي بكرٍ، فقالت: يقتلكَ رجلٌ من العجم، قال: وإنَّ الناس يأمُرُونَنِي أنْ أستخلف، وإنَّ الله لم يكن ليُضيع دينَهُ وخلافتَهُ التي بعث بها نبيَّهُ ﷺ، وإنْ يعْجلُ بي أمرٌ فإنَّ الشُّورى في هؤلاءِ السِّتَّةِ الذين مات نبيُّ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فمن بايعتم منهم فاسمعُوا له وأطِيعُوا، وإنِّي أعلم أنَّ أُناسًا سيطْعَنُونَ في هذا الأمرِ، أنا قاتلتهم بيدي هذه على الإسلامِ، أولئك أعداءُ الله الكفَّارُ الضُّلَّالُ، وأيْمُ الله، ما أترُكُ فيمَا عهد إليَّ ربي فاستخْلَفَنِي شيئًا أهمَّ إليَّ من الكَلَالة[٣]، وأيْمُ الله ما أغلظَ لي نَبيُّ الله ﷺ في شيءٍ منذ صحبْتُهُ أشدَّ ما أغْلظَ لي في شأنِ الكلالَةِ، حتَّى طَعَنَ بإصْبعه في صدْرِي، وقال: «**تكفيكَ آيةُ الصَّيْفِ**[٤]

---

(١) البخاري «الفتح» (٣/ ١٣٩٢).

(٢) تحرفت في «المسند» بطبعته القديمة إلى «معبد» والصواب ما أثبتناه، وانظر «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٠٤).

(٣) الكلالة: أن يموت الرجل ولا يدع والدًا ولا ولدًا يرثانه، فإن كان له أخت فلها نصف ما ترك وإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الانثين.

(٤) الآية (١٧٦) من سورة النساء وهي قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾.. إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾. وآية الصف: أيْ التي نزلت في الصف.

التي نزلتْ في آخر سُورةِ النِّساءِ» ، وإنِّي إنْ أعشْ فسأقْضِي فيها بقضاءٍ يعلمُهُ منْ يقرأُ ومنْ لا يقرأُ، وإنِّي أشهدُ الله على أُمراءِ الأمصار، إنِّي إنَّمَا بعثتهم ليعلموا الناس دينهم، ويُبيِّنُوا لهم سنَّة نبيِّهم ﷺ ويرفعُوا إليَّ ما عُمِّي عليهم، ثمَّ إنكم أيها الناسُ تأكلون من شجرتين لا أراهمَا إلَّا خبيثَتين، هذا الثوْمُ والبصلُ. وأيمْ الله لقد كنتُ أرى نبيَّ الله ﷺ يَجدُ ريحهمَا من الرجُلِ فيأمُرُ به فيُؤخذُ بيده فيُخْرَجُ به من المسجد حتى يُؤْتى به البقيع، فمنْ أكلهُمَا لا بدَّ فليُمِتْهمَا طبخًا، قال: فخطب الناس يوم الجمعةِ وأُصيبَ يوم الأربعاءِ»[1].

□ عن أُبيِّ بن كعبٍ في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ[2] وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، قال: جمعهم فجعلهم أرواحًا ثمَّ صوَّرَهم فاستنْطقهم فتكلَّمُوا، ثمَّ أخذ عليهم العهد والمِيثاقَ، وأشهدهم على أنفسهم: ألستُ بربِّكُم. قال: فإنِّي أشهد عليكم السمَاواتِ السَّبْع، والأرضين السَّبْع، وأشهدُ عليكم أَبَاكُمْ آدم عليه السلام أنْ تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنَّهُ لا إله غيري، ولا ربَّ غيري، فلا تشركوا بي شيئًا، إنِّي سأُرْسِلُ إليكم رسلي، يُذَكِّرُونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي. قالوا: شهدْنَا بأنَّكَ ربُّنا وإلهُنَا، لا ربَّ لنا غيرك، فأقرُّوا بذلك ورفع عليهم آدم ينظر إليهم، فرأى الغنيَّ والفقير، وحسن الصورة، ودون ذلك، فقال: ربِّ لولا سوَّيْتَ بين عبادكَ، قال:

---

(١) أحمد (١/ ١٥) وقال الشيخ أحمد شاكر (١/ ١٩٢): «إسناده صحيح».

(٢) هكذا وردت في «مسند أحمد»، وفي رواية حفص ﴿ذُرِّيَّتَهم﴾ الآية ١٧ من سورة الأعراف.

إنِّي أحببْتُ أن أشكر. ورأى الأنبياءَ فيهم مثل السُّرُج عليه النُّورُ، خُصُّوا بمِيثَاقٍ آخر في الرِّسالة والنُّبُوة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ .. إلى قوله: ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] كان في تلك الأرواحِ فأرْسَلهُ إلى مريمَ»[١].

حَضُّ عثمانَ على الوفاء:

□ «كتب عثمَان ﷺ إلى عماله وولاته عقب توليته الخلافة هذا الكتاب: أمّا بعد فإن الله خلق الخلق بالحق، خذوا الحق، وأعطوا الحق، والأمانةَ الأمانةَ قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم، الوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المَعاهد، فإن الله خصم من ظلمهم»[٢].

□ إن الوفاء ليست كلمة مهملة لا معنى لها، أو ميّتة لا روح فيها، إنمَا الوفاء رَحْبُ المعاني، واسع الدلالة، وصلة وشيجةٌ بمكارم الأخلاق كلها، وشعب الإيمَان بتمامها.

الوفاء للعلم أولى من الوفاء للصحبة:

□ اعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيمَا يخالف الحق في أمرٍ يتعلَّق بالدين، بل الوفاء له المخالفة، فقد كان الشافعي ﷺ آخى محمد ابن عبد الحكم، وكان يقرّبه، ويُقبل عليه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، فاعتلّ محمد، فعاده الشافعي ﷺ فقال:

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه (٥/ ١٣٥)، ورواه ابن أبي حاتم، وابن جرير وابن مردويه في تفاسيرهم من رواية ابن جعفر الرازي به.

(٢) «الوفاء» (ص١٣٢).

مـــرض الحبيـــبُ فعدتُـــه فمرضـــتُ مـــن حـــذري عليـــه
وأتـــى الحبيـــبُ يعـــودني فبرئـــتُ مِـــن نظـــري إليـــه

وظن الناس لصدق مودتهمَا أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته، فقيل للشافعي في علّته التي مات فيها: إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم – وهو عند رأسه- ليومئ إليه، فقال الشافعي: سبحان الله! أيشكّ في هذا أبو يعقوب البويطي؟ فانكسر لها محمد، ومال أصحابه إلى البويطي، مع أن محمدًا كان قد حمل عنه مذهبه كله، لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعي لله وللمسلمين، وترك المداهنة، وآثر رضا الله تعالى.

فلمَّا توفي الشافعي انقلب محمد بن عبد الحكيم عن مذهبه، ورجع إلى مذهب أبيه، ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك، وآثر البويطي الزهد والخمول، ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة، وصنف كتاب الأم، الذي ينسب الآن إلى الربيع ابن سليمَان، ويعرف به، وإنمَا صنفه البويطي، ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه، وأظهره.

والمقصود أنَّ الوفاء بالمحبة من تمَامها النصح لله.

الوفاء:

□ قال الأحنف: «الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات، فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك، وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير.

□ ومن آثار الصدق والإخلاص وتمَام الوفاء: أن تكون شديد

الجزع من المفارقة، نفور الطبع عن أسبابها، كمَا قيل:

وجدت مصيبات الزمـان جميعهـا سوى فرقة الأحباب هيِّنة الخطب»

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال: «لقد عهدت أقوامًا فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إليّ أنّ حسرتهم ذهبت من قلبي».

□ ومن الوفاء: ألا يسمع بلاغات الناس على صديقه، ولا سيمَا من يظهر أولًا أنه محب لصديقه – كيلا يتهم – ثم يلقي الكلام عرضًا، وينقل عن الصديق ما يوغر القلب، فذلك من دقائق الحيل في التضريب، ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلًا.

□ قال واحد لحكيم: «قد جئت خاطبًا لمودّتك، قال: إن جعلت مهرها ثلاثًا فعلت، قال: وما هي؟ قال: لا تسمعْ عليّ بلاغة، ولا تخالفني في أمري، ولا توطئني عشوةً.

□ ومن الوفاء: ألا يصادق عدو صديقه، قال الشافعي رحمه الله: «إذا أطاع صديقُك عدوّك فقد اشتركا في عداوتك».

أخي: كن سموْأل الإسلام في وفائك لربك وللخلق:

□ ممَّا أسفرتْ عنه وجوه الأوراق، وأخبرت به الثِّقات في الآفاقِ، وظهرتْ روايته بالشام والعراق، وضرب به الأمثال في الوفاءِ بالاتِّفَاقِ، حديث السموأل بن عاديا، وتلخيص معناه أنَّ امرأَ القيسِ الكنديِّ، لمَا أراد المُضيَّ إلى قيصر ملك الرُّوم، أودع عند السَّموْأل دروعًا وسلاحًا، وأمتعةً تساوي من المَال جملةً كثيرةً. فلمَّا مات امرُؤُ القيسِ أرسل ملك كنْدَةَ يطلبُ الدُّرُوع والأسلحةَ المُودعةَ عند السَّموأل. فقال السموأل: لا أدفعها إلَّا لمستحقِّهَا. وأبى أنْ يدفع إليه منها شيئًا، فعاودهُ فأبى، وقال:

لا أغدرُ بذمَّتي، ولا أخُونُ أمانتي، ولا أتركُ الوفاءَ الواجب عليَّ. فقصدهُ ذلك الملكُ من كندة بعسكره فدخل السَّموأل في حصنه، وامتنع به. فحاصرهُ ذلك الملك، وكان ولدُ السموأل خارج الحصنِ فظفر به ذلك الملكُ وكان ولدُ السموأل خارج الحصن فظفرَ به ذلك الملك فأخذهُ أسيرًا ثمَّ طاف حول الحصن وصاح بالسموألِ. فأشرف عليه من أعلى الحصن. فلمَّا رآهُ قال له: إنَّ ولدك قد أسرته، وها هو معي، فإنْ سلمت إلى الدروع والسلاح التي لامرئ القيس عندك، رحلتُ عنك وسلَمْتُ إليك ولدك، وإن امتنعْتَ من ذلك ذَبحْتُ ولدك وأنت تنظر، فاختر أيهُمَا شئتَ. فقال له السموألُ: ما كنتُ لأخفرَ ذمامي، وأبطل وفائي، فاصنع ما شئْتَ. فذبحَ ولدهُ وهوينظرُ. ثمَّ لمَّا عجَزَ عن الحصْنِ رجع خائِبًا، واحْتَسَبَ السَّموأل ذبحَ ولدِهِ وصَبرَ، محافظةً على وفائهِ. فلمَّا جاء الموسم وحضر ورثَةُ امريءِ القيس سلَّم إليهم الدُّروعَ والسِّلاحَ. ورأى حفظَ ذمامِهِ ورعاية وفائه أحبَّ إليه من حياة ولدهِ وبقائهِ. صارتِ الأمثالُ في الوفاءِ تضربُ بالسموألِ، وإذا مدحُوا أهل الوفاء في الأنام ذُكِرَ السموألُ في الأولِ»[1].

أخي: أعجزت وأنت المسلم فيك كل معاني النور، أن تكون كالسموأل في وفائه، وأعْلَى منه مرتبة وفائك لعهدك مع ربك، ومع رسولك ﷺ.. ولإسلامك؟!

وفَيْتُ بأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إني ... إذا ما خَانَ أَقْوامٌ وَفَيْتُ

وقَالُوا: إنه كَنْزٌ رَغِيبٌ، ... وَلَا - واللهِ - أَغْدِرُ مَا مَشَيْتُ

---

(١) «المستطرف» (١/ ٢٨٩).

بنَـى لي عَاديًـا حِـصْنًا حَـصِينًا ... وَبِئْـرًا كُلَّـمَا شِـئْتُ اسْـتَقَيْتُ
طمِـرًّا تَزْلَـقُ العِقْبَـانُ عَنْـهُ ... إذَا مَـا نَـابَني ظُلْـمٌ أُبَيْـتُ

□ وقال الأعشى في ذلك:

شريحُ لا تَتْرُكَنِّي بَعْدَ مَا عَلِقَتْ ... حِبَالُكَ اليَوْمَ بَعْدَ القِدِّ أظْفَارِي
كُنْ كالسَّمَوْأَلِ إذْ طَافَ الهُمَامُ بِهِ ... في جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ
بالأبْلَقِ الفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ ... حِصْنٌ حصِينٌ وَجَارٌ غَيرُ غَدَّارِ
إذْ سَامَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ فَقَالَ لَهُ ... مَهْمَا تَقُلْهُ فَإني سَامِعٌ حَارِ[1]
فَقَالَ: غَدْرٌ وَثُكْلٌ أنْتَ بَينَهُمَا ... فَاخْتر، وَمَا فِيهِمَا حظٌّ لمخْتَارِ
فَشَكَّ غَيْرَ طَويلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: ... ادَّحْ أُسِيرَكَ إني مَانِعٌ جَاري
هذَا لَهُ خَلَفٌ إن كُنتَ قَاتِلَهُ ... وإنْ قَتَلْتَ كَرِيمًا غَيْرَ خَوَّارِ
فَقَالَ تَقْدِمَةً إذْ قَامَ يَقْتُلُهُ: ... أشْرِفْ سَمَوْأَلُ فَانْظرْ لِلدَّمِ الجاري
أَأَقْتُلُ ابْنَكَ صبرًا أوْ تَجِيءَ بِهِ ... طَوعًا؟ فَأنْكَرَ هذا أيَّ إنْكَارِ
فشَكَّ أوْدَاجَهُ وَالصَّدْرُ في مَضضٍ ... عَلَيْهِ مُنْطَوِيًا كاللَّذْعِ بِالنَّارِ
وَاخْتَارَ أدْرَاعَهُ أنْ ألا يُسَبَّ بِهَا ... ولَمْ يَكُنْ عَهْدُهُ في غَيرِ مختَارِ
وَقَالَ: لَا أَشْتَري عَارًا بِمَكْرُمَةٍ ... فاخْتَارَ مَكْرُمَةَ الدُّنْيَا عَلَى العَارِ
وَالصَّبْرُ مِنْهُ قَديمًا شِيمةٌ خُلُقٌ ... وَزَنْدُهُ في الوفَاء الثَّاقِبُ الوَارِي[2]

---

(١) أي: يا حارث.
(٢) «الوفاء» (ص٩٠- ٩٢).

وفاء الطائي الجاهلي خذ منه العِظة وعلوَّ الهمة:

الوفاءُ بالعهدِ وَرِعاية الذِّمَم نُقِل فيه من عجائب الوقائع، وغرائبِ البدائعِ، ما يُطربُ السَّمَاع، ويُشَنِّفُ المسامع، كقضية الطائيِّ وشريكٍ، نديمي النُّعمَان بن المنذر. وتلخيصُ معناها أن النُّعمّانَ كان قد جعل له يومين: يوم بُؤسٍ، من صادفهُ فيه قتلهُ وأرادهُ، ويوم نعيمٍ، من لقيهُ فيه أحسن إليه وأَغْنَاهُ، وكان هذا الطَّائِيُّ قد رماهُ حادثُ دهْره بسهام فاقته وفقره، فأخرجته الفاقة من محلِّ استقراره ليرتاد شيئًا لصبْيته وصغاره، فبينمَا هو كذلك إذ صادفهُ النُّعمَانُ في يوم بُؤسه، فلمَّا رآهُ الطائيُّ علم أنَّهُ مقتُولٌ وأنَّ دَمَهُ مطلولٌ. فقال: حيَّا الله الملك إنَّ لي صبيةً صغارًا، وأهلًا جياعًا، وقد أرقْتُ ماءَ وجْهي في حصول شيءٍ من البُلغةِ لهم، وقد أقدمني سوءُ الحظِّ على الملكِ في هذا اليوم العبُوسِ، وقد قرُبْتُ من مقرِّ الصِّبْية والأهلِ وهمْ على شفا تلفٍ من الطَّوَى، ولن يتفاوت الحالُ في قتلي بين أول النَهار وآخره، فإنْ رأى الملكُ أنْ يأذن لي في أنْ أُوصِّلَ إليهم هذا القُوتَ وأوصِيَ بهم أهل المرُوءَةِ من الحيِّ، لئلَّا يهْلِكُوا ضياعًا ثُمَّ أعُودَ إلى الملك وأُسلِّمَ نفسي لنَفَاذِ أمْرِهِ. فلمَّا سمعَ النُّعْمَانُ صورة مقاله، وفهم حقيقة حاله، ورأى تلهُّفَهُ على ضياع أطفاله، رَقَّ له ورَثَى لحاله، غير أنَّه قال له: لا آذنُ لك حتَّى يضْمَنَكَ رجلٌ معنا، فإنْ لم ترجعْ قتلناهُ، وكان شريكُ بن عديِّ بن شُرحبيل نديمُ النُّعمَانِ معه فالتفتَ الطائيُّ إلى شريكٍ وقال له:

يَـا شَرِيـكَ بْـنَ عَـدِيٍّ ... مَـا مِـنَ المَـوْتِ انْهِـزَامْ

مَـنْ لأَطْفَـالٍ ضِـعَافٍ ... عَـدِمُوا طَعْـمَ الطَّعَـامْ

بَـيْنَ جُـوعٍ وَانْتِظَـارٍ وَافْتِقَـارٍ وَسِـقَامْ
يَـا أَخَـا كُـلِّ كَـرِيمٍ أَنْـتَ مِـنْ قَـوْمٍ كِـرَامْ
يَا أَخَا النُّعْمَـانِ جُـدْ لِي بِـضَمَـانٍ وَالْتِـزَامْ
وَلَـكَ اللهُ بِـأَنِّي رَاجِـعٌ قَبْـلَ الظَّـلَامْ

فقال شريك بن عديٍّ: أصلح الله الملك، عليَّ ضمَانهُ، فمرَّ الطائي مسرعًا، وصار النعمَانُ يقول لشريكٍ: إنَّ صدر النهارِ قد ولَّى، ولم يرجع، وشريكٌ يقول: ليس للملكِ عليَّ سبيلٌ حتى يأتيَ المساءُ، فلمَّا قرب المساءُ، قال النعمَان لشريكٍ: قد جاء وقتك قم فتأهَّبْ للقتل، فقال شريكٌ: هذا شخصٌ قد لاح مقبلًا، وأرجو أن يكون الطائيَّ، فإنْ لم يكن فأمرُ الملك ممتثلٌ، قال: فبينمَا هم كذلك وإذ بالطائيِّ قد اشتدَّ في عدوه وسيره مُسْرعًا، حتى وصل، فقال: خشيتُ أنْ ينقضيَ النهارُ قبل وصولي، ثمَّ وقف قائمًا، وقال: أيُّها الملكُ، مُرْ بأمركَ فأطْرَقَ النُّعمَانُ ثم رفع رأسهُ وقال: والله ما رأيتُ أعجب منكُمَا، أمَّا أنتَ يا طائيُّ فمَا تركت لأحدٍ في الوفاءِ مقامًا يقوم فيه، ولا ذكرًا يفْتَخِرُ به، وأمَّا أنت يا شريكُ فمَا تركْتَ لكريمٍ سمَاحةً يُذْكَرُ بها في الكرماءِ، فلا أكونُ أنا أَلأَمَ الثلاثةِ، ألا وإني قد رفعتُ يوم بُؤْسي عن النَّاس، ونقضْتُ عادَتِي، كرامَةً لوفاءِ الطائيِّ وكرم شريكٍ. فقال الطَّائيُّ:

وَلَقَـدْ دَعَتْنِـي لِلْخِـلَافِ عَـشِيرَتِي فَعَـدَدْتُ قَـوْلَهُمُ مِـنَ الإِضْـلَالِ
إِنِّي امْـرِؤٌ مِنِّـي الوَفَـاءُ سَـجِيَّةٌ وَفَعَـالُ كُـلِّ مُهَـذَّب مفْـضَال

فقال له النُّعمَانُ: ما حملك على الوفاءِ وفيه إتلافُ نفسك، فقال:

ديني، فمنْ لا وفاء فيه لا دينَ له، فأحسنَ إليه النُّعْمَانُ ووصلهُ بمَا أغْنَاهُ وأعادَهُ مكرَّمًا إلى أهلهِ وأنا له ما تمنَّاهُ»[١].

وفاء عبد الله بن طاهر للخليفة المأمون:

ومن ذلك ما حُكِيَ أنَّ الخليفة المأمونَ، لمَّا ولَّى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشَّامَ، وأطلق حكمَهُ دخل على المأمُونِ بعض أخوانه يومًا فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ عبد الله بن طاهرٍ يميلُ إلى ولد أبي طالبٍ، وهواهُ مع العلويِّين، وكذلك كان أبوه قبله، فحصل عند المأمون شيءٌ من كلام أخيه من جهة عبد الله بن طاهرٍ، فتشوَّشَ فكرهُ وضاقَ صدرهُ، فاستحضر شخصًا وجعله في زيِّ الزُّهَّاد، والنُّسَّاك الغزاة ودسَّهُ إلى عبد الله بن طاهرٍ وقال له: امْضِ إلى مصر، وخالطْ أهلها، وداخلْ كُبراءها واستملهم إلى القاسمِ بن محمدٍ العلويِّ، واذكر مناقبه، ثمَّ بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهرٍ، ثم اجتمع بعبد الله بن طاهرٍ بعد ذلك وادْعُه إلى القاسم بن محمدٍ العلويِّ، واكشفْ باطنهُ، وابْحثْ عن دفين نيَّتِه وائْتني بمَا تسمع. ففعل ذلك الرَّجُلُ ما أمرهُ به المأمون، وتوجَّه إلى مصرَ، ودعاجماعةً من أهلها، ثمَّ كتب ورقةً لطيفةً ودفعها إلى عبد الله بن طاهرٍ وقت ركوبه، فلمَّا نزل من الرُّكوب وجلس في مجلسه، خرج الحاجبُ إليه وأدخله على عبد الله بن طاهرٍ، وهو جالسٌ وحدهُ، فقال له: لقد فهمْتُ ما قصدتَهُ، فهات ما عندك فقال: ولي الأمانُ؟ قال: نعم فأظْهَرَ له ما أراده ودعاهُ إلى القاسم بن محمدٍ. فقال له عبد الله، أو تنصِفُني فيمَا أقواله لك؟ قال: نعم قال: فهل يجبُ شكر الناسِ بعضهم

---

(١) «المستطرف» (١/ ٢٨٧- ٢٨٨).

لبعضٍ عند الإحسانِ والمِنَّةِ؟ قال: نعم، قال: فيجبُ عليَّ وأنا في هذه الحالةِ التي تراها من الحكم والنِّعْمةِ، والولاية، ولي خاتمٌ في المشرق، وخاتمٌ في المغرب، وأمري فيمَا بينهمَا مطاعٌ، وقولي مقبولٌ. ثمَّ إني ألتفتُ يمينًا وشمَالًا فأرى نعمةَ هذا الرجل غامرةً، وإحسانهُ فائضًا عليَّ، أفتدعوني إلى الكفر بهذه النِّعمة، وتقول اغدر وجانب الوفاءَ، والله لو دعوْتَني إلى الجنَّة عيانًا لمَا غدرْتُ ولمَا نكثتُ بيعتَهُ، وتركْتُ الوفاءَ له. فسكتَ الرَّجُل فقال له عبد الله: والله، ما أخافُ إلَّا على نفسكَ. فارْحلْ من هذا البلد، فلمَّا يئسَ الرجل منه وكشف باطنهُ وسمع كلامه رجع إلى المأمون فأخبره بصورة الحال فسرَّهُ ذلك، وزاد في إحسانِهِ إليه، وضاعف إنْعَامَهُ عليهِ»[1].

وفاء امرأة مسلمة لزوجها بعد مماته:

□ قال رجل من بني أَسَدٍ: «أَضللْتُ إبلًا لي، فخرجتُ في طلبهنّ، فهبَطْتُ واديًا، إذا أنا بفتاةٍ أعشى نورُ وجهها نورَ بصري؛ فقالتْ لي: يا فتى، ما لي أراك مُدَلّهًا – ساهي القلب ذاهل العقل – ؟فقلت: أضللَتُ إبلًا لي فأنا في طلبها؛ قالت: أفأَدُلُّكَ على من هي عنده، وإن شاء أعطاكها؟ قلتُ: نعم ولك أفضلُهنَّ. قالت: الذي أعطاكهن أخذهن وإن شاء رَدهُنَّ. فَسله مِن طريق اليقين لا من طريق الاختبار؛ فأعجبني ما رأيتُ من جمالها وحسن كلامها، فقلت: ألك بعل – زوج-؟ قالت: قد كان، وَدُعيَ فأجابَ، فأُعيدَ إلى ما خُلقَ منه. قلت: فما قولك في بعلٍ تُؤْمنُ بوائقُه – شروره وغوائله- ولا تُذَمُّ خلائقُه؟ فرفعت رأسها وتنفَّسَتْ

(١) المرجع السابق (١/ ٢٨٨).

وقالت:

كنَّا كغُصنين في أصلٍ غذاؤُهما ... ماءُ الجداول في رَوْضَاتِ جنَّاتِ

فاجتثَّ خيرَهما من جنب صاحبه ... دَهْرٌ يَكُرُّ بترحاتٍ وفرحَاتِ

وكان عاهدني إن خانني زَمَنٌ ... ألا يضاجِعَ أنثى بعد مَثْواتي

وكنت عاهدته إن خانه زَمَنٌ ... ألا أبوءَ ببعل طولَ محياتي

فلم نزل هكذا والوصلُ شيمتُنَا ... حتى تُوُفِّي قريبًا مُذْ سُنَيَّاتِ

فاقبِضْ عِنانَكَ عمَّن ليس يردَعُه ... عن الوفاء خلافٌ بالتحيَّات»[١]

وفاء المرأة لزوجها جالبٌ للسعادة في بيتها، وهي بذلك خير النساء:

• قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من السعادة، وثلاثة من الشقاء، فمن السعادة: المرأة الصالحة؛ تراها فتُعجبك، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالِكَ، والدابّة تكون وطيئة[٢]، فتُلحِقُكَ بأصحابك، والدار تكون واسعةً كثيرة المرافِق، ومِن الشقاء: المرأة ترها فتسوؤك، وتحمِلُ لسانها عليك[٣]، وإنْ غِبْتَ عنها لم تأمنها على نفسها ومالِكَ، والدابة تكونُ قطوفًا[٤]، فإن ضربْتَها أتعبتك، وإنْ تركتها لم تُلْحِقُكَ بأصحابِك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق»[٥].

---

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري.

(٢) أي: مُذَلَّلَةً سريعة.

(٣) أي: بالقبيح من القول.

(٤) أي: متقاربة الخطا، بطيئة السير.

(٥) حسن: رواه الحاكم في «المستدرك» عن سعد، وحَسَّنه الألباني في «الصحيحة» =

• وقال رسول الله ﷺ: «خيرُ النساء مَنْ تسرُّك إذا أبْصرتَ، وتُطيعُك إذا أَمَرْتَ، وتحفظ غَيبَتَك في نفسِها ومَالِكَ»[1].

وفاء عَوْف بن مُحَلم:

كان من وفائه أن مَرْوان القَرَظِ بن زنباع غزا بكر ابن وائل، فَقَصُّوا أثَرَ جيشِه، فأسره رجلٌ منهم وهو لا يعرفه، فأتى به أمه، فلمَّا دخل عليها قالت له أمه: إنك لَتَخْتالُ بأسيرك كأنك جئت بمَرْوَان القرظ فقال لها مروان: وما تَرْتَجيْنَ من مروان؟ قالت: عظم فدائه، قال: وكم ترتجين من فِدائِه؟ قالت: مئة بعير، قال مروان: ذاك لك على أن تؤديني إلى خُماعَةَ بنت عَوْف بن مُحلم.

وكان السبب في ذلك أن لَيْثَ بن مالك المسمى بالمنزوف ضَرِطًا لمَا مات أخذت بنو عَبْس فرسَه وسَلَبه، ثم مالوا إلى خِبائه فأخذوا أهلَه، وسلَبوا امرأته خُماعَةَ بنت عَوْف ابن مُحَلم، وكان الذي أصابها عَمْرو بن قاربٍ وذُؤَاب ابن أسماء، فسألها مروان القرظ: مَنْ أنتِ؟ فقالت: أنا خُماعة بنت عَوْف بن مُحَلم، فانتزعها من عمرو وذُؤَاب لأنه كان رئيسَ القوم، وقال لها: غَطِّي وجْهَك، والله لا ينظر إليه عربي حتى أردّك إلى أبيك، ووقع بينه وبين بني عبس شرّ بسببها.

ويقال: إن مروان قال لعمرو وذؤاب: حَكِّماني في خُماعة، قالا: قد حكَّمناك يا أبا صهبان! قال: فإني اشتريتها منكما بمئة من الإبل، وضَمَّها

(١٨٠٣)، و«صحيح الجامع» (٣٠٥٦).

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والضياء في «المختارة» عن عبد الله بن سلام، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٣٨)، و«صحيح الجامع» (٣٢٩٩).

إلى أهله، حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كِسْوَتها، وأخْدَمها، وأكرمَها، وَحملها إلى عُكاظ، فلمَّا انتهى بها إلى منازل بني شيبان قال لها: هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك؟ فقالت: هذه منازل قومي، وهذه قُبَّةُ أبي، قال: فانطلقي إلى أبيك، فانطلقت فخبّرت بصنيع مروان، فقال مروان فيمَا كان بينه وبين قومه في أمر خُماعة، ورَدّها إلى أبيها:

رَدَدْتُ عَلَى عَوْفٍ خُماعَةَ بَعْدَ مَا ... خَلَاهَا ذُؤَابٌ غَيْرُ خَلْوَةِ خَاطِبِ

ولَوْ غَيْرُهَا كَانَتْ سَبِيَّةَ رمحِهِ ... لَجَاءَ بِهَا مَقْرُونَةً بالذّوائب

وَلكنَّهُ أَلقَى عَلَيْهَا حِجَابَهُ ... رَجَاءَ الثَّوَابِ أَوْ حِذَارَ العَوَاقِبِ

فَدَافَعْتُ عَنْهَا نَاشِبًا وَقَبِيلَهُ ... وَفَارِسَ يَعْبُوبٍ وَعَمْرَو بْنَ قَارِبِ

فَفَادَيْتُهَا لَمَّا تعيَّنَ نصفها ... بكومِ المَتَالِيَ وَالعِشَارِ الضَّوَارِبِ

صُهَابِيَّةٍ حُمْرِ العَثَانِين وَالذُّرَى ... مَهَارِيسَ أَمْثَالِ الصُّخُورِ مَصَاعِبِ

في أبيات مع هذه؛ فكانت هذه يدًا لمروان عند خُماعة، فلهذا قال: ذاك لك على أن تؤديني إلى خُماعة بنت عوف ابن ملحم فقالت المرأة: ومَنْ لي بمئة من الإبل؟ فأخذ عُودًا من الأرض فقال: هذا لك بها، فمضَتْ به إلى عَوْف ابن مَحلم، فبعث إليه عمرو بن هند أن يأتيهُ به، وكان عمرو وجد على مروان في أمر، فآلى ألا يعفوَ عنه حتى يضع يدَه في يده، فقال عَوْف حين جاءه الرسول: قد أجارتْهُ ابنتي، وليس إليه سبيل، فقال عمرو بن هند: قد آليت ألا أعفو عنه أو يَضَعَ يده في يدي، قال عوف: يَضَعُ يدَه في يدك على أن تكون يدي بينهمَا، فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك، فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوَضَعَ يده في يده ووضع يده

بين أيديهمَا، فعفا عنه، وقال عمرو: لا حُرَّ بوادي عوف، فأرسلها مثلًا، أي لا سيد به يناويه، وإنمَا سمي مروان القرَظِ لأنه كان يغزو اليمنَ، وهي: منابت القَرَظِ[1].

وفاء الحارث بن ظالم:

وكان من وفائه أنَّ عياض بن دَيْهث مَرَّ برعاء الحارث وهم يسقون، فسقى فقَصُر رِشَاؤُه، فاستعار من أرْشِيَةِ الحارث فوَصَل رشاءه، فأروَى إبله، فأغار عليه بعضُ حَشَمِ النعمَان فاطردوا إبله، فصاح عياض: يا جاراه، يا جاراه! فقال له الحارث: متى كنتُ جارَك؟ فقال: وصَلتُ رشائي برشائك، فسقيتُ إبلي، فأُغيرَ عليها، وذلك المَاء في بطونها، قال: جِوَارٌ ورَبِّ الكعبة، فأتى النعمَانَ، فقال: أبيتَ اللعن! أَغار حَشَمُك على جاري عياضِ ابنِ ديهث فأخذوا أبله وماله، فاردُد عليه، فقال له النعمَان: أفلا تشد ممَا وَهَى من أديمك، يريدُ أنَّ الحارث قتل خالد ابن جعفر بن كلاب في جوار الأسود بن المنذر، فقال الحارث: هل تعدون الحلبة إلى نفسي؟ ويروى: هل تعدّون الحلبة من الأعداء؟ يعني تركضون، ويروى «تعدون» من التعدي، أي: تتعدون، أي: تتجاوزون – فأرسلها مثلًا- أي: أنك لا تُهلك إلَّا نفسي إن قتلتها، فتدبّر النعمَان كلمته، فردّ عليه عياض أهله وماله.

□ قال الفرزدق يضربُ المثل لسليمَان بن عبد الملك حين وفي ليزيد بن المهلَّب:

لَعَمْـري لقـد أَوفى وَزَاد وَفَـاؤُهُ ... عَـلى كُـلِّ جَـارٍ جـارُ آلِ المهَلَّـبِ

---

(١) «الوفاء» (ص٩٢- ٩٥).

كَمَا كَانَ أَوْفَى إِذ يُنَادِي ابنُ دَيْهثٍ ... وَصِرمَتُهُ كَالمغْنَمِ المُتنهَّبِ
فَقَامَ أَبُو لَيلَى إِلَيْهِ ابْنُ ظَالِمٍ ... وَكَانَ مَتَى مَا يَسْلُلِ السيفَ يَضْرِبِ [1]

جابر عثرات الكرام وعُلُوُّ همته في الوفاء:

□ تنزل الشدة بالمرء فيتلفت إلى إخوانه الذين تربطهم به روابط المودة عسى أن يواسوا كربته، ويخففوا ما نزل به فمنهم الكريم الذي يبادر بالمواساة، ومنهم اللئيم الذي يتنكر لصديقه، فإن لقيه أعرض عنه كأنه لا يعرفه، وفي مثل هذا يقول الأول:

كم من أخ لك لست تنكره ... ما دمت في دنياك في يسر
فإذا عدا - والدهر ذو غِيَرٍ - ... دهرٌ عليك عدا مع الدهر
فارفض بإجمالٍ مودة من ... يقلي المقل ويعشق المثري
وعليك من حالاه واحدة ... في العسر ما كنت واليسر

وفي القصة الآتية ترى كيف يكون الوفاء؟ وكيف يواسي الأخ أخاه إذا ألمت به ملمة وتنزلت به فاقة؟.

كان خزيمة بن بشير الأسدي مقيمًا بالجزيرة وكان معروفًا بالمروءة والكرم ومشهورًا بمواساة من تحل به نكبة، كانت نعمته وافرة، وعيشه رغيدًا، فلم يزل على تلك الحال حتى قلب الدهر له ظهر المِجَنّ، فاحتاج إلى إخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم فواسوه حينًا ثم ملوه، فلمَّا لاح له تغيرهم أتى امرأته، وكانت بنت عمه. فقال لها: يا بنت العم! قد رأيت من إخواني جفاء، وشاهدت منهم تغيرًا وإعراضًا، وقد عزمت

---

(١) «الوفاء» (ص٩٥- ٩٦).

على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت، فأوى إلى منزله يتقوت بمَا عنده حتى نفد.. وكان عكرمة الفياض واليًا على الجزيرة من قبل سليمَان بن عبد الملك، فجاء ذكر خزيمة في مجلس عكرمة وأخبره خبره، وشرح حالته فقال: أما وجد خزيمة مواسيًا ولا مكافئًا. ثم لمَا جن الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار وركب دابته ومعه غلام يحمل المال حتى وصل إلى خزيمة فدفعها إليه فقال خزيمة: من أنت! فقال عكرمة: ما جئت في هذا الظلام وأريد أن أُعرَفَ! قال خزيمة: حلفت ألا أقبلها أو أعرف من أنت؟ فقال عكرمة: أنا جابر عثرات الكرام. قال خزيمة: زدني إيضاحًا؟ قال: لا، ثم مضى عكرمة فلمَّا رجع إلى منزله وجد امرأته في قلق وقد ارتابت في خروجه ليلًا، فعرّفها الخبر، وطلب منها الكتمَان ليكون عمله لله خالصًا.

أما خزيمة فإنه أصلح من المَال شأنه، ودفع ديونه، وتجهز إلى سليمَان بن عبد الملك، فلمَّا دخل سلّم بالخلافة فقال سليمَان: ما أبطأك عنا؟ قال: ضيق الحال يا أمير المؤمنين إلى أن قيض الله لي جابر عثرات الكرام. فقال سليمَان: لو عرفنا جابر عثرات الكرام لأعنّاه على مروءته؛ ثم عقد سليمَان لخزيمة الولاية على الجزيرة وعلى أعمَال عكرمة، فلمَّا وصل خزيمة إلى الجزيرة نزل في دار الإمارة، وأمر أن يؤخذ عكرمة فيحاسب، فظهر قبل عكرمة أربعة آلاف دينار، فطالبه خزيمة بها، فقال: مالي إلى ردّها من سبيل، فأمر خزيمة بوضعه في السجن مقيدًا بالأغلال، فأقام عكرمة في السجن حتى أضناه القيد، فلمَّا علمت زوجته بذلك أرسلت جارية لخزيمة: أهكذا يكون جزاء جابر عثرات الكرام؟! فلمَّا سمع خزيمة ذلك قال: واسوأتاه، جابر عثرات الكرام غريمي، ثم ذهب تَوًّا إلى السجن ففك أغلال عكرمة وقبّل رأسه واعتذر إليه، ثم سارا معًا إلى سليمَان ليعرف من جابر عثرات الكرام، فلمَّا عرف القصة قال

لعكرمة: لقد كان برك وبالًا عليك، ثم عقد سليمَان لعكرمة الولاية على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقال له: أمرُ خزيمة إليك إن شئت أبقيته وإن شئت عزلته فقال: بل أبقيه. فمكثا عاملين لسليمَان مدة خلافته، وهكذا يكرم الله أهل المروءات ويضاعف لهم الجزاء، ويجنبهم المذلة والهوان، ويخلد ذكرهم التاريخ على مر الزمان..

وما ضاعَ مالٌ ورَّثَ الحمدَ أهلَه ... ولكنَّ أموالَ البخيلِ تضيْعُ [١]

الوفاء للأخ في الله والصاحب بعد مماته:

□ مَرَّ بك قول الحسن: «إن كان الرَّجُل ليخلف أخاه في أهله بعد موته أربعين سنة».

□ قال هُريم بن سفيان: «كان عمرو بن قيس المُلائي يمرُّ بنا في كل جمعة، ومعه هديّة قد حملها، يأتي بها منزل منصور المعتمر قال: وذلك بعد موت منصور بمَا شاء الله، فلم يزل على ذلك حتى مات. قال: فبلغني أن أهله تعاهدهم بنحو من ذلك بعد ما مات عمرو».

□ وعن بسطام التيمي قال: «رأيت طلحة بن مصرف يخرج من زُقاق ضيِّق في التيم، فقلت: من أين يجيء طلحة؟ قالوا: يأتي أمَّ عمَارة ابن عمير يبرّها بالنفقة والكسوة والصِّلة. قال: وذاك بعد موت عمَارة ببضع عشرة سنة. قال: وكانت أم عمَارة أعجمية»[٢].

الوفاء في رياض الشِّعْرِ ودوحته:

في رحاب الشعر = بعد القرآن والسُّنَّة يتذوَّق القارئ شيمة الوفاء،

---

(١) «الوفاء» (ص٩٦= ٩٩).

(٢) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص٧١= ٨٨).

ويلتمسها في جنبات كل بيْتٍ، ووراء كلِّ مَقْطَعٍ بإحساسها الصادق النقي..

□ فلله در القائل وهو عبد الحميد الكاتب:

أُسِرّ وفـــاءً ثـــم أظهِـــرُ غـــيره فمن لي بعذرٍ يُوسِع الناسَ ظاهُرهُ[١]

وفاء عبد الحميد الكاتب لمروان بن محمد:

□ قائل البيت السابق هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري الكاتب المشهور، وكان قد اختص بمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فلم يزل معه إلى أن شعر بقرب زوال ملكه فقال له: قد احتجتُ إلى أن تصير إلى عدوّي وتظهر الغدر بي. وإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك تحوجهم إلى حسن الظن بك. فأبى عبد الحميد إلَّا البقاء معه حتى قتلا معًا في بوصير بمصر سنة ١٣٢ [٢].

الوفاء الدائم:

النَّاسُ بالناس مـا دامَ الوفـاءُ بهـمْ والعُسْرُ واليُسْرُ سَاعاتٌ وأوقـاتُ

وأكرمُ الناس ما بين الورى رَجُـلٌ تُقضَى عـلى يـدِهِ للنَّـاس حاجَـاتُ

لا تقطعَنَّ يَد المعْـروفِ عـنْ أَحَـدٍ إنْ كنْـتَ تَقْـدِرُ فالأيـامُ تَـاراتُ

واشكرْ صَنيعَة فَضْلِ الله إذْ جعلـتْ إليْكَ، لا لَـكَ للإنـسان حاجـاتُ

قد ماتَ قومٌ وما ماتتْ فَـضائِلُهمْ وَعَاش قومٌ وهمْ في الناسِ أمواتُ

---

(١) «مجموعة المعاني» لعبد السلام هارون (١/ ٢٤٩)- طبع دار الجيل.

(٢) «وفيّات الأعيان» لابن خلّكان (١/ ٣٠٧).

دوام الوفاء بالعفو والغفران:

□ قال المغيرة بن حَبْناء:

خُذْ من أخيك العفو واغفِرْ ذنُوبَه ... ولا تـكُ في كـلِّ الأمـور تُعَاتِبُـهْ
فإنـكَ لـن تلقـى أخَـاك مُهَـذَّبًا ... وأيّ امريءٍ ينجُو منَ العيبِ صاحبُه
أَخُوكَ الذي لا ينقُضُ النَأيُ عهدَهُ ... ولا عندَ صرفِ الدّهرِ يَزْورُّ جَانبُـه
وليسَ الذي يَلقَاكَ في البِشْرِ والرِّضَا ... وإنْ غَبْـتَ عنـه لَـسَّعَتْكَ عَقارِبُـه

□ وذكر جَبَّار بنُ سَلَمى عامرَ بنَ الطُّفَيل، فقال: كانَ والله إذا وَعَد الخيرَ وفَّى، وإذا أوعد بالشرّ أخلف، وهو القائل:

ولا يرهَبُ ابنُ العمِّ ما عِشْتُ صَوْلَتي ... ويـأمَنُ منّـي صَـوْلَةَ المتهـدِّدِ
وإني وإنْ أوعدْتُـه أو وَعَدْتُـه ... ليكذِبُ إيعادِيْ ويصدقُ مَوْعِـدي

□ وقال ابنُ أبي حازم:

إذا قلـتَ في شيء: «نَعَـم» فأتِّمـه ... فإنَّ «نعم» دَيْنٌ عـلى الحـرِّ واجِـبُ
وإلَّا فقل: «لا» تسترِحْ وتُـرحْ بهـا ... لـئلا يقـولَ النَّـاسُ: إنَّـكَ كـاذِبُ

□ وأحسن ما ورد في إنجاز الموعد قول عوفِ بن مُحلِّم:

ذكرْتُ مواعيدَ الأمير ابـنِ طَـاهِرِ ... ومثـلُ العطايـا في الأكـفّ عداتُـه
وزكّيـتُ مـا لم أحـوِهِ مـن عطائـه ... فكنْتُ كمـن حلّـت عليـه زكاتـه

□ ومما ينسب إلى الإمام عليّ رضي الله عنه في الأصدقاء والوفاء:

تغـيَّرت المـودّةُ والإخـاءُ ... وقـلَّ الـصّدقُ وانقطَـع الرجَـاءُ
وأسـلَمني الزَّمـانُ إلى صـديقٍ ... كثـير الغـدرِ لـيس لـه رعَـاءُ

وربَّ أخٍ وفيْـتُ لـه بحـقٍ ولكـن لا يـدومُ لـه وفـاءُ

□ ويقول في النساء:

دعْ ذِكْـرَهُنَّ فـما لهُـنَّ وفـاءُ رِيْـحُ الـصَّبا وعهـودُهُنَّ سَـواءُ

يكـسِرْن قلبـكَ ثـم لا يجبرنَـهُ وقلـوبُهُنَّ مـن الوفـاءِ خَـلاءُ

□ وقال في الوفاء بين الناس:

ذَهَبَ الوفَاءُ ذَهَابَ أَمْسِ الذَّاهِب فالنَّـاسُ بَـيْنَ مُخاتِـل ومُـوارِبِ

يَفْـشُونَ بيـنهُمُ المـودَّة والـصَّفا وقلـوبُهُم محـشوَّةٌ بعقـارِبِ

□ ومثله:

ماتَ الوفـاءُ فَـلا رِفْـدٌ ولا طَمـعٌ في النّاس لم يبْقَ إلَّا اليأسُ والجـزَعُ

فاصْـبرْ عـلى ثِقَـةٍ بـاللهِ وارضَ بـه فـاللهُ أكـرَمُ مَـنْ يُرْجَـى ويُتَّبَـعُ

رباط الصحبة بالوفاء:

وكنْـتُ إذا صَـحِبْتُ رِجـالَ قـومٍ صَـحِبْتُهمُ وشـيمتيَ الوفـاءُ

فأُحـسنُ حـين يُحـسِنُ مُحـسِنُوهُمْ وأجتنـبُ الإسـاءة إن أسـاؤوا

وأُبـصر مـا بعيـبهم بعـينٍ عليهـا عـنْ عيـونِهمُ غطـاءُ

□ وقال الشافعي في الربط بين السمَاحة والوفاء:

وكُنْ رَجُـلًا عـلى الأهـوال جَلْـدًا وشـيمتُكَ الـسَّمَـاحةُ والوفـاءُ

□ وقال إبراهيم الشبراوي:

سَـألتُ النَّـاسَ عَـنْ خِـلٍّ وَفِّي ... فقـالوا: مـا إلى هـذا سـبيْلُ
تمسَّك إن ظفِـرتَ بـذيل حُـرٍّ ... فـإنَّ الحُـرَّ في الـدنيا قليْـلُ

□ وقيل:

اشدُد يـديكَ بمـن بلـوتَ وفـاءَه ... إنَّ الوفـاءَ مـن الرّجـال عزيْـزُ

□ ويشبهه قول الشاعر:

يمـوتُ المـرء لـيس لـه وفيٌّ ... وقبـل اليـوم عَـزَّ الأوفيـاءُ
أتـدري الـشمسُ أنَّ لهـا بهَـاءً ... فتأسـفَ أنْ يفارقهـا البهـاءُ؟

□ وقال الشاعر القديم:

إني كـأني أرى مـن لا وفـاء لـه ... ولا أمانـة وسْـطَ القـوم عُريانـا

□ وذكر الجاحظ في البيان والتبيين قول أحدهم:

فيَّ انْقِبـاضٌ وحـشمةٌ فـإذا ... صَـادقْتُ أهـلَ الوفـاءِ والكَـرَمِ
خلَّيْـتُ نفـسي عـلى سـجيتها ... وقلـتُ مـا قلـتُ غـيرَ محتـشم

□ ويشبهه:

مـالي وَجْـهٌ في اللِّئـام ولا يَـدُ ... ولكنَّ وجهـي في الكـرام عـريْضُ
أَهُـشُّ إذا لاقيـتُهم وكـأنني ... إذا أنـا لاقيـتُ اللّئـام مـريضُ

مطلب الوفاء صعب:

أرومُ الوفاءَ الصَّعبَ بالمطلب السّهل ... وأرتادُ جُوْدَ الحبَ في منبت البخل

□ ومنه:

دُريت الوفي العهد يا عُرو فاغتبط ... فـإن اغتباطًـا بالوفـاء حميـد

□ وقيل:

أفدي خُطاك بنفسي وهي قاصرة ... عنها، ولكنها أوفى الذي أَجِدُ

الوفاء شرف للإنسان:

إنَّ الكرامَ إذا ما استُعطِفُوا عَطَفُوا ... والحرُّ يعفو لمن بالذنب يعترفُ

والصّفْحُ عن مُذْنبٍ قد تاب مكرمةٌ ... وفي الوفاء لأخلاق الفتي شَرَفُ

الحبُّ طاعة ووفاء:

□ يقول الشاعر في وصف المحبّ لرسول الله ﷺ:

مَنْ يدَّعي حبَّ الرسُولِ ولم يُفِدْ ... من هديه فَسَفَاهَةٌ وهُرَاءُ

الحبُّ أولُ شرطِهِ وفروضِهِ ... إنْ كان صِدقًا طاعَةٌ ووفاء

وفي وفاء الرسول ﷺ:

يا صفوة الرّسُلِ الكرام ومَنْ به ... هدى الأنام محجَّةً بيضاءَ

صلَّى عليك الله ما خفق الحشا ... حبًّا، وأخلصت النفوسُ وفاءَ

وفي محبة العرب والوفاء لهم يقول الشاعر:

ناشَدْتُكِ اللهَ يا روحي اذهبي كَلَفا ... بحبِّ قومٍ عن الجرعاء قد ذهبوا

لا تسأليهم ذمامًا في محبتهم ... فطالَما قد وفى بالذمة العربُ

الوفاء للوطن:

□ قال ابن الرومي:

ولي وَطَنٌ آليتُ ألا أبيعَهُ ... وألا أرى غيري له الدَّهرَ مالكا

وَحَبَّبَ أوطانَ الرجال إليهمُ ... مَآربُ قضَّاها الشبابُ هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمُ ... عهودَ الصّبا فيها فحنوا لذلكا

فَقَـد ألفتْـهُ الـنفس حتـى كأنـه ... لهـا جَسَدٌ إن بـان غُـودِرَ هالكـا

الوفاء في اليسر والعسر:

□ أنشد الإمام محمد الخضر حسين تحت هذا العنوان:

مَـسَّتِ العـيشَ عـسْرَةٌ فـدعيْهَا ... تبـتلي الـصَّبرَ سَـاعةً وَيَمُـرُّ

جَـارَتي هكـذا الزَّمـانُ يوافينـا ... بيـومٍ يجفـو ويـوم يَـسرُّ

مـا افتقـدنا في الحـالتين وفـاءً ... واحتفـاءً بـه العيـون تَقَـرُّ

الوفاء بعهد الصداقة:

□ وأنشد الإمامُ أيضًا عن أحد أصدقائِه وصلته به:

أحبَبْتُـهُ مِـلءَ الفُـؤَادِ وإنمَـا ... أحببـتُ مَـنْ مـلأ الـودادُ فـؤادَه

فظَفِرْتُ منه بصاحبٍ إنْ يـدرِ مـا ... أشكُوه جـافى مـا شـكوتُ رقـادَه

ودريت منه كمَـا درى منـي فتًـى ... عـرفَ الوفـاءُ نجـادَه ووهـادَه

الوفاء في تحقيق التراث:

□ مدح أحد الشعراء عالمًا مهتمًا بتحقيق التراث فقال:

وفيْـتَ لآبـاءٍ طَـواهُمْ زَمـانُهم ... وكنْتَ لهم مِنْ ذلـك الطّـي تنـشرُ

تراثًـا وأخلاقًـا وعِلْمًـا ومنهَجًـا ... إلى أن طويـتَ العمـر زرْعًـا يُثْمِـر

وخلفـتَ لي عَهْـدًا ودَرْبًـا وعـدَّةً ... يحقُّهـمُ منـك الرضـا ويُنـوَّرُ

فصارَ جميعُ الإرث عنـدي أمانـةً ... ووالله لا يخـزيْ القـديمَ المـؤخّرُ

□ وقال ابن زيدون في قصيدته المشهورة يطلب الوفاء:

أضحى التنائي بديلًا عن تدانينا ... ونـاب عن طيب لقيانا تجافينا
لم نعتقد بعدكم إلَّا الوفاءَ لكم ... رأيًا، ولم نتقلدْ غيره دينا
دُومي على العَهْدِ ما دُمنا مُحافِظةً ... فالحرُّ مَنْ دانَ إنصافًا كما دينا
أوْلِي وفاءً وإن لم تبذلي صِلَةً ... فالذكر يُقنعنا والطيف يكفينا

□ وقال المتنبي في مدحه يربط القدرة والوفاء:

إنَّ في ثَوْبِكَ الذي المجدُ فيه ... لضياءً يُزري بكل ضِيَاءِ
كرمٌ في شجاعةٍ،وذكاء ... في بهاءٍ، وقدرةٌ في وفاءِ

□ ومن غرر أحاسن أبي فراس الحمداني:

لم أؤاخذْكَ بالجفاء لأني ... واثقٌ منك بالوفاءِ الصحيح
فجميلُ العَدُوِّ غيرُ جميلٍ ... وقبيحُ الصديق غيرُ قبيح

□ وقال ابن العميد:

أين لي مَنْ يفي بشكر الليالي ... حين ضاقت حبالها حيالي؟

□ وأنشد الحسن بن عبد الوهاب لرجلٍ يذمّ صديقًا له، ويمدح كلبًا بوفائه:

تخيَّرت من الأخلاق ... ما يُنفى عن الكَلْبِ
فإنَّ الكلبَ مجبولٌ ... على النُّصرةِ والذَّبِ
وفيٌّ يحفَظُ العَهْدَ ... ويحمي عَرْصَةَ الدَّرْبِ
ويعطيك على اللّين ... ولا يعطي على الضرب
ويشفيك من الغيْظِ ... ويُنجيك من الكربِ

□ وقال آخر:

تقولُ العِدى لا بارَكَ الله في العِدى ... قدَ اقصَرَ عن ليلى ورثَّت وسائلُه
ولو أصبحتْ ليلى تدِبُّ على العصا ... لكان هَوَى ليلى جديدًا أوائلُه

□ وقال إبراهيم بن العباس:

ولكنّ الجواد أبا هشام ... وفيُّ العهد مأمونُ المَغيبِ
بطيءٌ عنك ما استغنيت عنه ... وطلَّاعٌ إليك مع الخُطوبِ

□ وقال آخر:

ومن عجبٍ أن بتَّ مستشعرَ الثرى[1] ... وبتُّ بما زوَّدتني متمتِّعا
ولو أنني أنصفتك الود لم أبِتْ ... خلافك حتَّى ننطوِي في الثَّرى معًا

□ وقال البحتري:

فوَا أسفا أن لا أكونَ شهدتُه ... فخاست[2] شمالي عنده ويَميني
وألا لقيت الموت أحمر[3] دونه ... كما كان يلقى الدَّهرَ أغبرَ دوني
وإنَّ بقائي بعده لخيانةٌ ... وما كنت يومًا قبلَه بخؤون

□ وقال المتنبي:

غاضَ[4] الوفاء فما تلقاه في أحدٍ ... وأعوزَ[5] الصدقُ في الأخبار والقَسَمِ

□ وقالوا: «إذا أَرَدْتَ أن تعرفَ وفاءَ الرَّجُلِ ودوام عَهْدِه فانظر إلى

---

(١) مستشعر الثرى، كأنه جعله شعارًا له في قبره.
(٢) خاست: لزمت موضعها واحتسبت، أو غدرت.
(٣) أحمر: أي في أوج شدته.
(٤) غاض: نقص.
(٥) أعوَز: قلّ فما يُوجد.

حنينه إلى أوطانه، وتشوُّقِهِ إلى إخْوانه، وكَثْرَةِ بُكائه على ما مضى من زمانِهِ.

□ قال الشاعر:

تَعْجِيلُ وَعْدِ الْمَرْءِ أُكْرُومَةٌ ... تَنْشُرُ عَنْهُ أَطْيَبَ الذِّكْرِ
وَالْحُرُّ لَا يَمْطُلُ مَعْرُوفَهُ ... وَلَا يَلِيقُ الْمَطْلُ بِالْحُرِّ

□ وقال آخرُ:

وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ ... لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ تَمَامِ
أَنْعِمْ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكَرُّمًا ... فَالْمَطْلُ يُذْهِبُ بَهْجَةَ الإِنْعَامِ

□ وقال آخرُ:

وَمِيعَادُ الكَرِيمِ عَلَيْهِ دَيْنٌ ... فَلَا تَزِدِ الكَرِيمَ عَلَى السَّلَامِ
يُذَكِّرُهُ سَلَامُكَ مَا عَلَيْهِ ... وَيُغْنِيكَ السَّلَامُ عَنِ الكَلَامِ

□ وأنشدُوا:

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ «نَعَمْ» فَأَتِمَّهُ ... فَإِنَّ «نَعَمْ» دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبُ
وَإِلَّا فَقُلْ «لَا» تَسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِهَا ... لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ

□ وقال آخرُ:

لَا كَلَّفَ اللهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا ... وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ
فَلَا تَعِدْ عِدَةً إِلَّا وَفَيْتَ بِهَا ... وَاحْذَرْ خِلَافَ مَقَالٍ لِلَّذِي تَعِدُ

□ وقالَ آخَرُ:

اشْـدُدْ يَـدَيْكَ بِمَـنْ بَلَـوْتَ وَفَـاءً ... إِنَّ الوَفَـاءَ مِـنَ الرِّجَـالِ عَزِيـز

وقالوا في الغدر والخيانة:

□ قال حرب بن جابر الحنفي:

رأيـت أبـا القَيَّـار للغـدرِ آلفـا ... وللجـار وابـن العـم جَمًّـا غوائلُـهْ

وإنّ أبـا القيَّـار كالـذئب، إن رأى ... بصاحبه يومًـا دمًـا فهـو آكلـهْ[1]

□ وقال آخر:

إذا عهـدوا فلـيس لهـم وفـاءُ ... وإنْ وعـدوا فموعـدهم هَبَـاءُ

□ وقال عارق الطائي:

غدرت بـأمرٍ كنـتَ أنـتَ دعوتَنـا ... إليه، وبِئْسَ الشّيمة الغـدر بالعهـد

وقد يـتركُ الغـدرَ الفتـى وطعامـه ... إذا هو أمسى حلبة مـن دم الفَـصْدِ

□ وقال آخر:

ولا خـير في وعـدٍ إذا كـانَ كاذبًـا ... ولا خيرَ في قـولٍ إذا لم يكـن فِعـلُ

□ وقال آخر:

جرّبت دهري وأهليه فـما تركـت ... ليَ التجاربُ في ودِّ امـريءٍ غَرَضـا

□ وقال آخر:

إنَّ خُلْـفَ الوعيـد لـيس بعـارٍ ... إنَّمـا العَـارُ كُلُّـه خُلـفُ وَعْـدِك

□ وقال مزاحم بن الحارث العقيلي:

---

(١) إشارة إلى ما هو متداولٌ مِن أكْلِ الذئب لصاحبه الذئب إذا رأىٰ عليه دمًا. والبيتان في حماسة البحتري (ص٢١٠).

فيومًا تراها بالعهود وفيّةً ... ويومًا على دين ابن خاقانَ دينُها [١]

يدًا بيد مَنْ جاء بالعين منهم ... ومن لم يجيء بالعينِ حِيزتْ رهونها [٢]

□وقال أبو فراس:

نَعَمْ دعتِ الدُّنيا إلى الغدرِ دعوةً ... أجاب إليها عالِمٌ وجهولُ

□وقال آخر:

كل الذنوب خفيفةٌ محمولَةٌ ... إلَّا ذنوبَ إذاعة الأسرارِ

□وقال آخر:

أَبْغِي الوفاءَ بزَمَنٍ [٣] لا وفاءَ به ... كأنني جاهل بالزمن [٤] والناس

نكرانُ المحاسن:

□قال الشاعِرُ:

وما كلُّ من تهواه يهواكَ قلبُه ... ولا كل من أنصفته لك منصف

□وقال آخر:

---

(١) خاقان: ملك الترك وعني به كسرىٰ قباذ بن فيروز. ملك الفرس. وكان قد قام مزدك في زمانه فدان بدينه من اشتراك القوم في النساء والأموال كما اشتركوا في الماء والنار والكلأ. يريد أن نفسها تطاوعها علىٰ مواصلة كل من تعرض لها ولا تعاف أحدًا.

(٢) هذا تمثيل، أي من جاء منهم بالنقد جازته بمثله نقدا، وهو ما سمّاه بالعين، أي من حضر منحته الحاضر من ودها.

وأما من غاب عنها فكأن رهنه قد ضاع وغلق، أي كأنه أودع قلبه رهينةً لا ردّ لها.

(٣) في الأصل بدهر وهي لأبي فراس، وقد غيَّرتها إلى «زمن» حتى لا يُعاب الدَّهْرُ ويُسَبُّ.

(٤) انظر الهامش السابق.

وعدْتَ وكان الخلفُ منك سجيَّةً ... مواعيدَ عُرقُوبٍ أخاه بيثرب

□ وقال آخر [١]:

ومَنْ يصنعِ المعروفَ في غيرِ أهلِه ... يلاقِ كما لاقى مُجير أمّ عامر [٢]

أعدَ لها لما استجارت بداره [٣] ... أحاليب [٤] ألبان اللّقاح الدّوائر

وأسمنها حتى إذا ما تمكّنت [٥] ... فرتــه [٦] بأنيابٍ لها وأظافر

فقل لذوي المعروف: هذا جزاء من ... يجود بمعروفٍ على غير شاكر [٧]

□ وقال آخر:

إذا ما جعلت السرَّ عند مضيّع ... فإنك ممَّن ضيع السرّ أذنب

□ وقال آخر:

إن يسمعوا سُبَّةً طاروا بها فَرَحًا ... مني،وما سَمِعُوا من صالح دفنوا

□ وقال المتنبِّي:

أَقِلَّ اشتياقًا أيُّها القلبُ إنني ... رأيتك تصفى الود من ليس صافيا

خُلِقت ألوفًا لو رَجعتُ إلى الصِّبَا ... لفارقتُ شيبي مُوجَع القلبِ باكيا

---

(١) هي لأعرابي، والأبيات مع قصتها في حياة الحيوان للدميري (٢/ ١١٧).

(٢) أم عامر: كنية الضَّبع.

(٣) عند الدميري:

أدام لها حين استجارت بقربه ... قواها من ألبان اللقاح الغرائز.

(٤) **الأحاليب:** جمع إحلابة، وهو أن يحلب لأهله وهو في المرعىٰ لبنا ثم يبعث به إليهم ما زاد منه علىٰ السِّقاء. واللقاح: جمع لقوح وهي الإبل بأعيانها.

(٥) **عند الدميري:** «وأشبعها حتىٰ إذا ما تملأت».

(٦) **فرثه تفريه:** قطّعته وشقصته.

(٧) **عند الدميري:** «غدا يصنع المعروف مع غير شاكر».

ما أقل الوفاء وأندره:

وَدَدْتُك لَمَّا كان حُبُّك خَالِصًا ... وأعرضتُ لَمَّا صار نهبًا مُقَسَّما

ولا يلبث الحوضُ الجديدُ بناؤه ... على كثرة الوُرَّادِ أنْ يتهدَّما

نسيان الأحباب بعد موتهم وهذا من قلّة الوفاء:

□ وقال أرطأة بن سُهيَّة[1]:

وكائن تَرى من ذات شجو وعَولةٍ ... بكَتْ شجوَها بعد الحنين المرجَّع[2]

فكانت كذات البَوَ لَمَّا تعطَّفتْ ... على قِطعِ من شِلوهِ المتمزَّعِ[3]

مَتَى لا تجدْه تنصرفْ لطِيَاتها ... من الأرض أو تعمِدْ لإلفٍ فتَربَع[4]

---

(١) هو أرطاة بن زفر بن عبد الله، وسُهَيَّة أمه. وهو من شعراء الدولة الأموية. وكان امرأ صِدق شريفًا في قومه.

(٢) الأبيات في «الأغاني» (١١/ ١٣٨)، يرثي بها ابنه عَمْرًا والشجو: الحزن والهم. والعولة: رفع الصوت بالبكاء، وحرارة وجد الحزين والمحب من غير نداء ولا بكاء. وكذلك العويل: وفي الأغاني: «ذات بث». والبث: الحزن.

(٣) البَوَ: الحُوار، وولد الناقة. وقيل: جلده يحشى تبنا أو ثُماما أو حشيشًا لتعطف عليها الناقة إذا مات ولدها ثم يقرب إلى أمه لتر أمه فتدر عليه. وفي الأصل: «كذات البر»، صوابه في الأغاني. والشلو: واحد الأشلاء. وهي الأعضاء والجلد والجسد.

(٤) والطيَّات: جمع طِيَّة، وهي المنية، والوطن، والمنزل. وفي «اللسان» «وقد يخفف في الشعر». والبيت هنا شاهد لتخفيف الياء. تربع. من قولهم: ربع بالمكان يربَع. اطمأنّ. وبعد هذا البيت في «الأغاني»:

عن الدهر فاصفح إنه غير معتب ... وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع

وبَدَلاً منه يقال: عن الزمن فاصفح إنه غير معتب.

عَوْدٌ على بدء:

وفاء الصحابي الجليل أبي العاص بن الربيع بن عبد العزَّى القرشي العبشيمي رضي الله عنه:

صهر رسول الله ﷺ، وزوج بنته زينب، وهو والد أمامة التي كان يحملها النبي ﷺ في صلاته.

• أُسِرَ في غزوة «بدر» فبعثت زينب قِلادتها لِتَفُكَّهُ وكانت هذه القلادة لأم المؤمنين خديجة أعطتها لزينب رضي الله عنها، فقال النبي ﷺ: «**إن رأيتم أن تُطْلِقُوا لهذه أسيرها**»، فبادر الصحابة إلى ذلك.

□ قال المسور بن مخرمة: «أثنى النبي ﷺ عَلَى أبي العاص في مصاهرته خيرًا وقال: «**حدَّثني فصدَقني، وَوَعَدَني، فوفَى لي**»، وكان قد وعد النبيَّ ﷺ، أن يرجع إلى مكة بعد وقعة بدر، فيبعث إليه بزينب ابنته، فوفى بوعده، وفارقها مع شدّة حبه لها، وكان من تُجار قريش وأمنائهم.

ثم أسلم قبل الحُديبية بخمسة أشهر، ولمَّا هاجر، ردَّ عليه النبي ﷺ زوجته زينب بعد ستة أعوامٍ على النكاح الأول [(١)].

وفاء ابن عباس رضي الله عنهما لحبيبه ﷺ، ولأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه:

□ عن حبيب بن أبي ثابت أن أبا أيوب قَدِم على ابن عباس البصرة، ففرَّغ له بيته، وقال: لأصنعنَّ بك كمَا صنعتَ برسول الله ﷺ، كم عليك؟ قال: عشرون ألفًا، فأعطاه أربعين ألفًا، وعشرين مملوكًا، ومتاعُ البيت» [(٢)].

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٣٠- ٣٣٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» ترجمة أبي أيوب الأنصاري (٢/ ٤٠٢- ٤١٣)، و«نزهة الفضلاء» (١/ ١٧١).

الإمام المحدِّث الزاهد عطاء بن أبي سعد الهَرَوي الفُقَّاعيّ تلميذ شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري:

□ قال السَّمعاني: «كان ممن يُضرَب به المَثَل في إرادة شيخ الإسلام والجدِّ في خدمته، وله حكايات ومقامات في خروج شيخه إلى بَلْخ في المحنة، وجرى بينه وبين الوزير نظام الملك محاورة ومُراددة واحتمل له النِّظام.

قال: وسمعتُ أن عطاءً قُدِّم للخشبة ليُصْلَبَ، فنجَّاه الله لحسن نيَّته، فلمَّا أُطلِق، عاد إلى التظلُّم، وما فتر، وخرج مع النِّظام ماشيًا إلى الروم، فمَا ركب، وكان يخوض الأنهار مع الخيل ويقول: شيخي في المحنة، فلا أستريح»[1].

✍ أين هذا من أبناء زماننا.

إذا قيلَ: في الدنيا خليلٌ؟ فقلْ: نعـمْ ... خليل اسمُ شخصٍ لا خليل وفاءِ

اللهم اجعلني عند حسن ظن شيخي المقدم بي وأجب دعاءه لي:

✍ أرسل لي شيخي الدكتور محمد إسمَاعيل المقدِّم رسالة على الهاتف المحمول بتاريخ ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٦م كتب فيها: «أكرمك الله يا أوْفى الأوفياء، ونصرَ بك السُّنَّة».

وأنا أقولها لوجه الله خالصة لشيخي المقدم:

سيبدو لكم في مضمر القلب والحشا ... سريـرة حـب يـوم تبـدو الـسرائر

بضاعتي طيلة عمري مزجاة إلَّا أن عملي الوحيد الذي أعلم صدقي

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٥٤- ٥٦).

فيه إن شاء الله هو حبي لشيخي المقدم في الله ووفائي له.. ويعلم الله أني أقولها خالصة لوجه الله أنه ما من شاب من أبناء الحركة الإسلامية في السبعينات وما بعدها في مصر مَسَّ محبرة ولا تناول قرطاسًا على المنهج السلفي إلَّا وللشيخ المقدم في عنقه مِنَّة ودَيْن، وكيف لا وهو مقدم الدعوة السلفية والمنظِّر لها والذاب عن قضاياها ومُجدِّد أمرها في ربوع مصرنا، أنكر هذا حاسد أو حاقد لا يرى إلَّا نفسه أو قَبِلَهُ ولوددت والله يعلم صدقي – أن لو أُخذ من عمري فزيد في عمره- لو جاز ذلك – وأن أفديه بدمي ونفسي ومالي وأولادي، وأن لا تمر عليه لحظة من هم أو أسى لمن يتنكَّر له أو يغمطه حقه، ولله در القائل: «بعتكم أغلى المُلك فلا تنسَوْني غدًا لكرامة الدلَّال»، ولو استقبلت من عمري ما استدبرت ما فارقته لحظةً ولحملتُ نعله.. ولي الشرف في ذلك.. ولقبَّلتُ قدمه كما قبّل الإمام مسلم قدم البخاري، ولقلتُ له عن أي إساءة أُسيئ بها، أو تنكر له: عَفوًا يا أستاذَ الأستاذين ويا طبيب السلفيَّة في عللها.. والله أنت شامة مصرنا وزين مجالسنا، وقرة أعيننا، وكم في النفس والفؤاد ألوان من الوفاء لك عسى الله أن يظهر عشر معشارها لتطيب حياتنا.. جعلني الله خادمًا لكم ذابًا عنكم.. وفيًّا لكم وخادمًا في كل نَفَسٍ من أنفاسي لكم ولذويكم.

شيخي الحبيب:

ليُسْقَ عهدَكمُ عهد السُّرور فما ... كنتم لأرواحنا إلَّا رياحينا